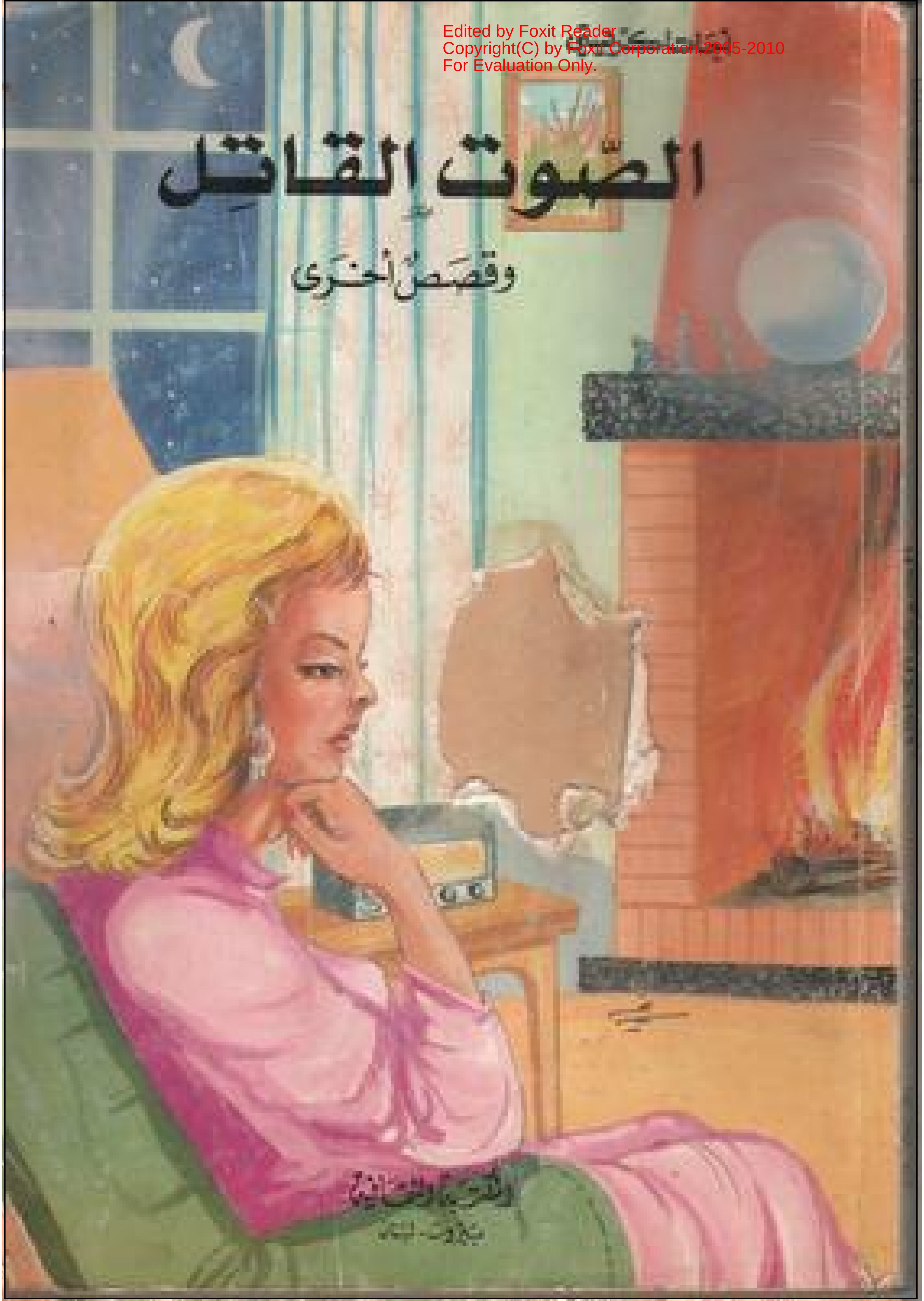

الصَّوتُ القاتِل
وقِصَصٌ أُخرَى

أجاثا كريستي

الصوت القاتل

وقصص أخرى

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الصوت القاتل

- ١ -

جلس مستر سارتويت وحيداً في مقصورته الأمامية بدار الأوبرا .. وكان على باب المقصورة بطاقة تحمل اسمه ، مما يدل على انه أحد المشتركين الذين احتجزوا أماكنهم لمشاهدة العرض طوال الموسم .

والواقع أن مستر سارتويت كان من هواة الفنون بصفة عامة والموسيقى بصفة خاصة ، وكان يحرص على مشاهدة العروض في أيام الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع ، ولا يتخلف إلا إذا كان على سفر .

ولكنه قلما يجد نفسه وحيداً في مقصورته ، فقد اعتاد ان يدعو واحداً أو أكثر من أهل طبقته أو من الشخصيات البارزة في دنيا الفن ممن يطيب له الجلوس اليهم لمشاركته في هذه المتعة ، وهو إذا كان قد وجد نفسه وحيداً في تلك الأمسية فما ذلك إلا لأن السيدة النبيلة التي دعاها إلى مقصورته قد تخلفت عن الحضور .

كانت هذه السيدة النبيلة مشهورة بالحفلات الفخمة التي تقيمها في

قصرها ، وهي معروفة كذلك بحبها المفرط لأولادها ."

وقد تصادف في ذلك اليوم أن أصيب أولادها فجأة بالتهاب الغـدة النكفية ، فاضطرت إلى ملازمتهم . أما زوجها فكان رجلا تافها ، وقد انتهز الفرصة للاعتذار ، لأنه كان يضيق بالموسيقى ويبرم بها ، ويعتبرها نوعا من الجلبة التي تؤذي السمع والاحساس ..

وهكذا وجد سارتوريت نفسه وحيداً في مقصورته .

وكانت الأوبرا الايطالية التي تعرض في تلك الليلة هي أوبرا (كافاليريا روستيكانا) . وقد وصل ساروريت إلى مقصورته في لحظة نزول الستار للاستراحة ، فأتيحت له فرصة مشاهدة الحاضرين وهم يتأهبون لمغادرة الصالة لتناول القهوة والمرطبات .

ويبدو أنه عرف بعضاً منهم ، فغادر مقصورته للحاق بهم في المقصف ولكنه ما كاد يجتاز أحد الأروقة حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمـام رجل طويل القـامة اسمر البشرة .. فـأفلتت من فمه صيحة سرور وهتف قائلا :

– مستر كوين !

وشد على اليد التي امتدت اليه ، وظل ممسكاً بها وكأنه يخشى أن يتبخر صديقه في الهواء ، واستطرد قائلا :

– يجب ان تأتي معي إلى مقصورتي . هل أنت وحدك ؟

فلم يتمالك مستر كوين من الابتسام وقال :

– نعم ، انني وحدي ، ومقعدي في أحد الصفوف الأمامية

فتنهد سارتوريت بارتياح وقال :

- إذاً يجب أن تأتي معي !
- هذا كرم عظيم .
- بل انه مبعث سرور لي والواقع انني لم أكن اعلم انك من عشاق الموسيقى
- انني جئت لمشاهدة هذه الأوبرا لأسباب خاصة .

فهتف ساروويت رغم أنه لا يعرف ما هي هذه الأسباب :

- طبعاً .. طبعاً !

وما ان دق الجرس معلناً انتهاء فترة الاستراحة حتى قصد الرجلان المقصورة ، وراحا يرقبان الحاضرين وهم يعودون إلى مقاعدهم في الصالة .

وفجأة هتف ساروويت :

- يا له من رأس جميل !

وأشار بمنظاره إلى فتاة تجلس في احد المقاعد الأمامية تحت المقصورة مباشرة .

لم يكن وجهها ظاهراً ، ولم ير ساروويت وزميله سوى جيدها الناصع البياض ، وشعرها الذي يشبه باقة من الذهب الخالص .

قال ساروويت باعجاب واحترام شديدين :

- إنها أشبه بتمثال اغريقي ..

ثم اردف بعد قليل :

- مما يبعث على الدهشة ان شعر غالبية النساء لا يلائم رؤوسهن ، وذلك يبدو واضحاً جداً منذ ان شاعت موضة الشعر القصير .

فقال مستر كوين :

– انك قوي الملاحظة يا مستر سارتوريت .

– إني انسان يهتم بكل ما يقع تحت بصره ، ولذلك لفت هذا الرأس نظري على الفور ، واني لفي أشد الفضول إلى رؤية وجه صاحبته ، وكل ما اخشاه ألا يكون الوجه جديراً بهذا الرأس الجميل .

وانطفأ النور في هذه اللحظة وارتفع الستار ..

وكان يقوم بالبطولة في أوبرا كافاليريا روستيكانا مغن جديد ، قالت الصحف ان له صوتاً كصوت كاروزو المشهور ، ولكنها لم تعرف حقيقة هويته ، هل هو تشيكي او يوغوسلافي او الباني او هنغاري .

وكان قد سبق لهذا المغني أن اقام حفلاً في قاعة البرت ، غنى فيه بعض الأغنيات الشعبية التي يترنم بها أهل المناطق الجبلية في بلاده ، فأعجب بها المستمعون واستعادوها مراراً . أما النقاد فتحدثوا عنها بتحفظ شديد ، إذ لم تألف آذانهم تلك الموسيقى الغريبة .. ولكنهم أحسوا بالارتياح عندما سمعوا المغني في ادواره الاوبرالية . ووجدا أنه يجيد غناء الاوبرات الايطالية بطريقة تضعه في مستوى كاروزو نفسه .

وعندما هبط الستار بعد الفصل الثاني ، دوت القاعة بعاصفة من التصفيق . وتحول سارتوريت إلى مستر كوين ، ولاحظ ان هذا الأخير ينتظر حكمه ، فهز رأسه ببطء وقال :

– رائع !

– أهذا رأيك ؟

– إن صوته لا يقل جمالاً عن صوت كاروزو .. ولكن المستمع لا يلاحظ ذلك على الفور نظراً لاختلاف طريقة الالقاء ، وإذا كان هناك

ما يؤخذ عليه ، فهو افتقاره إلى الثقــة بالنفس .. ولكن الصوت ذاته رائع .

– اني سمعته في قاعة (البرت) ..

– اما أنا فلم تتح لي هذه الفرصة !

– أنه غنى أغنية جبلية من اغنيات الرعاة قوبلت باعجـاب شديد وكان نجاحها ساحقاً .

فقال سارتويت :

– اني قرأت ما كتبه النقاد عنها ، وقد لاحظوا انها انتهت بصرخة مدوية .. وهي نهاية غير مألوفة .

وفي هذه الأثناء كان المطرب قد خرج أكثر من مرة لتحية الجمهور .

ثم أضيئت الأنوار ، وبدأ الحاضرون في الخروج الى المقصف ، وانحنى سارتويت فوق حاجز المقصورة لينظر الى الآلهة الاغريقية ذات الشعر الذهبي ، فرآها تنهض واقفة وتنظم وضع (الايشارب) حول عنقهـا .. وافلتت من بين شفتيه آهة خافتة ..

كان يعلم ان هناك وجوهاً جميلة غيرت مجرى التاريخ . وقد كان وجه تلك الفتاة من هذا النوع من الوجوه .

رآهـا تبتعد متأبطة ساعد الشاب الذي كان يجلس بجوارهـا .. ورأى عيون الرجال تتعلق بها .. ورؤوسهم تتحول نحوها ، ونظراتهم تتبعها فتمتم قائلاً :

– هوذا الجمال الطبيعي البريء الذي يتمثل في قسمات الوجه ، وتقوس الحاجبين ، الجمال المبرأ من الاغراء والجاذبية الجنسية

وتذكر هذه الكلمات التي قالها أحد الشعراء في وصف جمال هيلين اميرة طراوده :

« الوجه الذي أثار حرباً بين آلاف السفن على سطح الماء » .

ولأول مرة ، فهم معنى هذه الكلمات ، وتحول إلى زميله وقال :

– كثيراً ما تساءلت أي نوع من النساء كن .

– من تعني ؟

– هيلين ، وكليوباطر ، وماري ستيورات .

فهز مستر كوين رأسه ببطء وقال :

– سنعرف متى خرجنا .

وانصرفا ، وفوجئنا بالفتاة وصاحبها جالسين في المقصف .. ولأول مرة ، اهتم سارتويت بتقييم الشاب الذي يرافق الفتاة ..

لم يكن الشاب على شيء من الوسامة ، فهو غائر العينين ، بارز الفكين ، اسمر البشرة ، ولكن في عينيه بريق غريب .

قال سارتويت لنفسه :

– لا شك أن هذا الفتى شخصية غير عادية .

وكان الشاب يتحدث إلى الفتاة بانفعال وحماسة ، والفتاة تصغي اليه في هدوء وأناة ..

كان من الواضح أنهما ليسا من طبقة سارتويت .. وانهما ينتميان في الغالب إلى الجيل الجديد من الفنانين البوهيميين ، فالفتاة ترتدي ثوباً سيء التفصيل ، من الحرير الأخضر الرخيص . أما الشاب فكان يرتدي ثوب سهرة يبدو أنه لم يألف ارتداءه .

واخذ سارتويت وصديقه يسيران أمام الفتاة وصاحبها جيئة وذهاباً .
وفي المرة الرابعة ، لاحظا أن شاباً أشقر الشعر ، يبدو أنه موظف في احد المكاتب ، وقد انضم إلى الفتاة وصاحبها .. وأن وجوده معهما قد عكر الجو .. فقد قطبت الفتاة حاجبيها الجميلين ، بينما راح صاحبها ينظر إلى الشاب شزراً .

فهمس مستر كوين قائلاً :
– نفس القصة القديمة المألوفة .

فتنهد سارتويت وقال :
– نعم .. كلبان يتنازعان قطعة من العظم .. كذلك كان الحال منذ بدء الخليقة . وسيظل كذلك إلى نهاية الخليقة ، أمر يؤسف له حقاً . إن الجمال ..

ولم يتم عبارته ، فقد كان يقدس الجمال ، ويربأ بنفسه ان ينطق بكلمة تحط من قدره ، أو تنال من قداسته .
وعادا إلى المقصورة لمشاهدة الفصل الثالث ، ولما انتهى العرض تحول سارتويت إلى صديقه وقال :
– إن المطر ينهمر بشدة ، وسيارتي بالباب فهل تسمح لي بأن اذهب بك إلى حيث تريد ؟

وكان لبقاً في صياغة الدعوة في هذا الأسلوب المهذب .. ولو قد قال لصاحبه : (هل تسمح لي بأن اذهب بك إلى بيتك) .. لكشف عن فضوله ، ذلك أن مستر كوين كان رجلاً شديد الغموض ولم يكن سارتويت يعرف عنه شيئاً ، حتى ولا عنوان بيته .

واستطرد سارتويت على الفور قائلا :

– اللهم إلا اذا كانت سيارتك في انتظارك !

فقال كوين :

– كلا .. ان سيارتي ليست في انتظاري ..

– اذن ؟

فهز كوين رأسه قائلا :

– شكراً لك .. انني افضل العودة بطريقتي الخاصة !

ثم أردف قائلا وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

– وهكذا سيكون في استطاعتك أن تتصرف بحرية اذا ما حدث شيء ، طاب مساؤك وشكراً جزيلا ، هذه فيما أعتقد ليست أول مرة نشهد فيها معاً احدى المآسي ..

قال ذلك وابتعد مسرعاً دون أن يتيح لصاحبه فرصة للسؤال ..

ولم يتمالك سارتويت من الاحساس بقلق غامض ..

ترى ماذا كان يعني ؟ والى أية مأساة أشار ؟ أهي مأساة (كافاليريا روستيكانا) التي شهداها معاً منذ قليل ؟

اعتاد ماسترز سائق سيارة سارتويت ، ان يوقف السيارة بعيداً عن دار الأوبرا .. وكان سارتويت يكره الانتظار بباب الدار ريثما يوافيه السائق بالسيارة وسط زحام السيارات الأخرى ، ويؤثر على ذلك السير على قدميه الى حيث توجد سيارته .

وانه في طريقه الى السيارة اذا به يلمح الفتاة وصاحبها وهما يسيران أمامه .. واذا بالشاب الأشقر يلحق بهما .. وسرعان ما حدثت المأساة ،

فقد تبادل الشابان بعض العبارات الجافة .. وتحول الحوار الى شتائم ، ثم ما لبثا ان تماسكا وراحا يتبادلان اللكمات .. وأقبل احد رجال الشرطة كأنما هبط من السماء .. بينما استندت الصبية الى أحد الجدران وراحت تراقب مايحدث وعلى محياها الجميل دلائل القلق والألم العميق ، فاقترب منها سارتويت وقال في أدب :

– معذرة يا آنسة .. ان مكانك ليس هنا .

وتأبط ساعدها بسرعة ، وابتعد بها ، ولكنها توقفت بعد بضع خطوات ونظرت خلفها ، وقالت في تردد :

– ربما كان من الأفضل أن ..

فقاطعها سارتويت :

– لا يجدر بك ان تقحمي نفسك بينهما والا طلب اليك التوجه الى مركز الشرطة للادلاء بأقوالك ، وأنا على يقين من أن أحداً منهما لا يريد ذلك .

ثم توقف عن السير وقال :

– ها هي سيارتي ، وسيكون من بواعث سروري أن أرافقك إلى بيتك .

فألقت عليه الفتاة نظرة فاحصة ، ويبدو أنها اطمأنت اليه ، لأنها قالت على الفور :

– شكراً لك !

وصعدت إلى السيارة التي فتح ماسترز بابها .. وسألها سارتويت عن وجهتها ، فذكرت عنواناً في حي شيلسي .

وجلس سارتويت بجانبها في السيارة ..

وكانت الفتاة في حالة من الانزعاج تمنعها من الكلام ، ولم يشأ ساترثويت أن يضايقها بالأسئلة . فساد الصمت لحظة .. إلى أن بدأت الفتاة الحديث إذ التفتت اليه وقالت في ضيق :

– أليس مما يبعث على الأسى أن يكون الرجال بهذه الحماقة ؟

– الحق إن هذا أمر يؤسف له .

واطمأنت الفتاة إلى هدوئه وبساطته . ويبدو أنها كانت بحاجة إلى انسان تبوح له بما يثقل قلبها ، فقالت :

– ليس الأمر كما تظن .. إنني ومستر إيستني صديقان قديمان .. لقد تعارفنا عقب قدومي إلى لندن ، فاهتم بأمري .. وساعدني على التدرب على الغناء ، وأوصى بي جميع الذين كان يتعين علي الاتصال بهم لكي احترف الغناء .. كان كريماً معي غاية الكرم .. إنه مولع بالموسيقى .. وهو الذي دعاني إلى حفلة الليلة .. أنا واثقة من أن ثمن التذكرتين قد كلفه كثيراً .. ثم اقبل مستر بيرنز وتحدث الينا بلطف وأدب .. فغضب فيليب .. أعني مستر ايستني .. غضب وثار ، ولا أعلم لماذا .. فليس هناك قانون يمنع انساناً من الكلام .. ثق أن مستر بيرنز شاب لطيف دمث الأخلاق ، وقد لحق بنا ونحن في طريقنا لنستقل المترو ..

وقبل أن ينطق بكلمة واحدة ثارت ثائرة فيليب وانهال عليه بالألفاظ الجارحة ، ثم انقض عليه ، حتى لقد خيل اليّ أنه أصيب بمس من الجنون ، إنه لأمر مزعج حقاً ..

فقال ساترثويت بصوت خافت :

– أتعتقدين ذلك ؟

فتوردت وجنتاها ..

لم تكن من الفانيات ، ولكن لا شك أن ما حدث بين الشابين كان خليقاً بأن يشعرها بالخيلاء . إذ استطاعت بجمالها أن تثير بينهما هذه العاصفة الهوجاء ..

ولكن شعورها بالقلق كان أقوى من احساسها بالخيلاء ، فتنهدت وقالت بصوت خافت :

– أرجو ألا يكون قد أصابه بأذى ..

فقال سانرتويت لنفسه :

– ترى على أيهما تخاف ؟

وبعد تفكير قليل ، سألها بصوت مرتفع :

– أتخشين أن يصيب ايسلني مستر بيرنز بأذى ؟

– نعم .. وكم أود أن أعرف كيف انتهى الأمر بينهما .

وتوقفت السيارة أمام بيتها فسألها :

– هل لديك تليفون ؟

– نعم ..

– إذا شئت فإنني سأستعلم عما حدث ..

فأشرق وجهها بابتسامة رائعة وقالت :

– يسعدني ان تفعل ذلك .

وشكرته بحرارة وأعطته رقم تليفونها ، ثم قالت في حياء :

– اسمي جيليان ويست ..

وشيعها سانرتويت ببصره حتى توارت .. ثم هز رأسه وهمس

وهو يبتسم :

– ما اجملها !! إنني لا ألوم الذين يقتتلون من أجلها .

ولكنه بر بوعده لها .

– ٢ –

بعد ظهر يوم الأحد التالي ، قصد مستر ساترثويت إلى حديقة الزهور المعروفة باسم حديقة كيو ..

كانت له في هذه الحديقة ذكريات عاطفية يعود عهدها إلى سنوات عديدة مضت .. حين ذهب اليها للقاء أول فتاة خفق لها قلبه ، وفي نيته أن يطلب يدها بعد أن يبوح لها بحبه في عبارات صاغها بعناية وحفظها عن ظهر قلب ..

في ذلك اليوم قابلته الفتاة في الموعد المحدد ، ولكنه ما كاد يهم بالاعتراف بحبه لها ، حتى حدثت الكارثة .. فقد أشاحت الفتاة بوجهها فجأة ، وراحت تتحدث اليه بصفته صديقها المخلص ، وعن ولعها بشاب آخر .

وقد ترك هذا الحادث في نفسه أثراً عميقاً لم تمحه السنون ..

فكان يذهب إلى الحديقة بين الفينة والفينة ، لا لينعم بمرأى الزهور في حقولها المنسقة المتعددة الألوان ، وإنما ليستعيد ذكريات الماضي ويطوف بالأماكن التي كان يرتادها مع صاحبته ..

وحين كان يسير في طرقات الحديقة ، إذا به يلمح جيليان ويست وصديقها الأشقر وقد قعدا حول مائدة صغيرة تحت احدى الأشجار .

وابصرته الفتاة وعرفته واحمر وجهها ، وتحدثت إلى صاحبها بصوت خافت ، وما هي إلا لحظة حتى قبل سانرتويت دعوتها وجلس معهما حول المائدة ..

وقال له بيرنز :

– انني عاجز عن شكرك على اهتمامك البالغ بجيليان ، انها حدثتني بكل شيء ..

وقالت الفتاة تؤيد صاحبها :

– نعم .. نعم .. إنه كان غاية في الكرم والشهامة .

وتأثر سانرتويت بحفاوتها واخلاصها ، ولم تمض لحظات حتى فتحا له قلبيهما ..

كان قد لاحظ انهما يتناديان بأسماء التدليل ، فلم يفاجأ حين قالا له انهما مخطوبان ..

قال بيرنز ووجهه يتهلل بشراً :

– الواقع اني طلبت يدها بعد ظهر اليوم ، ووافقت .. اليس كذلك يا جيليان ؟

كان بيرنز موظفاً باحدى شركات الملاحة ، وكان يتقاضى مرتباً لا بأس به ، ويدخر مبلغاً من المال لنفقات زواجهما الذي قررا الاحتفال به في وقت قريب ..

وأصغى سانرتويت اليهما وهنأهما .

ولكنه استطاع منذ الدقائق الأولى أن يقيم الشاب .

قال لنفسه :

– إنه شاب عادي جداً .. لطيف ومخلص ، ولكنه متوسط الذكاء ، ومن الواضح أن الفتاة مولعة به .

وقال بصوت مرتفع :

– ومستر ايسلفي ؟

وأحدث هذا الاسم الأثر الذي توقعه ، إذ اكفهر وجه بيرنز ، وبدا الانزعاج على وجه الصبية ..

قالت بصوت خافت وهي توجه الكلام إلى ساترثويت ، ولعلها أحست بغريزتها أنه أكثر فهماً من خطيبها :

– الواقع إنني قلقة بسببه .. إنه فعل الكثير من أجلي ، وشجعني على دراسة الموسيقى والغنـــاء ، ولكنني كنت أعلم منذ البداية اني لن أصبح مطربة مشهورة .. صحيح اني تلقيت بعض العروض ، ولكن ..

فقاطعها بيرنز قائلاً :

– وتعرضت كذلك لكثير من المتاعب . إن المرأة بحــاجة إلى من يحميها ، وقد مرت جيليان بتجارب مؤسفة . إنها جميلة كما ترى ، والجمال له متاعبه ومضايقاته !

وأخذ يستعرض المتاعب التي استهدفت لهـــا خطيبته ، فروى قصة الشاب الذي علق بها ودفعه اليأس إلى الانتحار باطلاق الرصاص على رأسه ، ومدير البنك الذي ترك امرأته وأولاده وراح يطاردها في كل مكان .. والفنان العجوز الذي أصابه اليأس بالانهيـــار فوضع في أحد

مستشفيات الأمراض العصبية ، سلسلة من المآسي وقفت جيليان فيها جميعاً موقفاً سلبياً .

وختم الشاب حديثه بقوله :

– والرأي عندي أن ايسلتي شاب مخبول ، وان خطيبتي كانت ستعاني منه الأمرين لولا اني سارعت إلى خطبتها .

قال ذلك وأرسل ضحكة عالية لم تجد لها صدى عند الفتاة التي قالت ببطء :

– إن فيليب ليس مخبولاً . إنه يحبني وأنا أحبه كصديق . لا أكثر .. وإني لأتساءل الآن ترى كيف سيتلقى نبأ خطوبتي ؛ لقد كان يخشى أن ..

ولم تتم عبارتها ، وارتسمت في عينيها نظرة خوف وذعر !

فقال سارتوريث :

– إذا رأيت اني أستطيع مساعدتك ، فإنني رهن إشارتك ..

فبدا الامتعاض على وجه بيرتز .. ولكن الفتاة شكرته ولم تسمح له بالانصراف .. إلا بعد أن وعدهـــا بتناول الشاي معها في يوم الخميس المقبل .

- ٣ -

استيقظ سانرتويت في صبيحة يوم الخميس وهو يمتلىء حيوية ونشاطاً ..
قال لنفسه :
- لقد تقدمت في السن ، ولكن ليس إلى الحد الذي تتبلد فيه الحواس أمام الجمال ، إن الوجه الجميل نعمة ..

ثم هز رأسه بعد قليل وقال :
- ولكنه أيضاً قد يكون نقمة !

وجد جيليان وحدها ، فلم يكن قد حان موعد قدوم بيرتز ..
وكانت تبدو أكثر هدوءاً ومرحاً ، كما لو كانت قد تخلصت من عبء ثقيل .
وجاء كلامها مصداقاً لهذا الانطباع .. قالت :
- كدت أحجم عن مصارحة فيليب بأمر خطوبتي وذلك غباء مني ، فقد كان ينبغي أن أعلم أنه أكرم مما توهمت . ان النبأ أزعجه بطبيعة الحال ، ولكنه كان رائعاً .. أنظر إلى ما أرسله الي اليوم كهدية لمناسبة زواجي ؟ جميل .. اليس كذلك ؟

وأشارت إلى جهاز راديو من أحدث طراز .. كان هدية عظيمة من شخص رقيق الحال .

قالت الفتاة :

– كلانا يحب الموسيقى ، وقد أهداني هذا الجهاز لكي يذكرني به كلما استمعت إلى أغنية تذاع بالراديو .. وسوف أذكره ، فقد كان نعم الصديق .

فقال ساترثويت :

– نعم .. انه صديق يحق لك أن تفخري به ، فقد تلقى الصدمة بروح رياضية ، وقابل الهزيمة وعلى شفتيه ابتسامة .

فقالت الصبية وقد اغرورقت عيناها بالدموع :

– انه طلب الي معروفاً .. ففي مثل هذه الليلة منذ عام تقابلنا لأول مرة .. ولذلك توسل الي ألا أذهب الليلة إلى أي مكان ، وأن أحتفل بهذه الذكرى بالبقاء في غرفتي ، والاصغاء الى الموسيقى في برامج الاذاعة ، فوعدته بأن أفعل – وبأن أفكر فيه بكل العطف وعرفان الجميل !

فرفع ساترثويت حاجبيه في دهشة وحيرة .

لم يكن يعلم أن فيليب ايستناي عاطفي الى هذا الحد !

وبعد تناول الشاي ، طلب ساترثويت الى الفتاة ان تطربه باحدى أغنياتها .. ففعلت ، وشكرها ساترثويت وهنأها ، ولكنه لاحظ أن صوتها لا يزال يحتاج الى صقل ، وانها اذا حققت قدراً من النجاح فسيكون ذلك بفضل جمالها .

ولم يشأ ساترثويت الانتظار حتى يأتي بيرتز ، فنهض ليستأذن الفتاة في الانصراف ، وحينئذ لفت نظره شيء بين التحف الرخيصة الموضوعة

فوق المدفأة . شيء خيل اليه أنه أشبه بماسة بين الحصى

كان ذلك الشيء عبارة عن آنية أنيقة من الزجاج الأخضر فوقه كرة من الزجاج الرقيق أشبه بفقاعة الصابون ..

ولاحظت الصبية نظرة الاعجاب التي ارتسمت في عينيه وهو يتأمل الآنية فقالت :

– وهذه أيضاً هدية من فيليب ومن صنع يده .. جميلة أليس كذلك ؟ انه يعمل في مصنع زجاج .

– انها من أروع التحف الزجاجية التي وقع عليها بصري .

وأحس بأن فيليب ايستناي قد ارتفع في نظره درجات ، وعجب كيف أمكن لربة الجمال أن تؤثر على هذا الشاب المتعدد المواهب فوق متوسط الذكاء مثل بيرتز .

وفي الطريق ، تذكر ساترتويت ان جمال جيليان يوم أن رآها لأول مرة ، قد شغله عن الاحتفاء كما ينبغي بمستر كوين . ولاحظ بكثير من الدهشة .. أن ظهور هذا الرجل الغامض كان يقترن دائماً بأحداث غريبة غير متوقعة !

وكان ساترتويت قد تعرف على مستر كوين في مطعم أرليكان ، فقصد الى المطعم على أمل أن يلقاه ..

وحينما دخل المطعم ، وأجال البصر حوله ، لم يجد أثراً لمستر كوين .. ولكنه لمح فيليب ايستناي جالساً وحده أمام مائدة صغيرة .

وكان المطعم غاصاً بالعملاء ، فاتخذ ساترتويت مكانه على مائدة ايستناي ولم يكن عسيراً عليه ان يجذب الشاب الى الحديث .. فقد كان فيليب

يتوق إلى الكلام ، ويريد من يستمع اليه ، فاصغى اليه ساترتويت باهتمام ، وتحدث الشاب عن الحرب والمفرقعات والغازات السامة . وكان حديثه عن الغازات حديث رجل خبير ، فقد عمل فترة طويلة في مصنع للغاز أبان الحرب .

وكان مما قاله انهم صنعوا نوعاً خطيراً من الغاز يكفي القليـل منه لقتل أي كائن حي يستنشقه .. ولكن الهدنة حالت دون استخدام هذا الغاز أو تجربته .

ولم يلبث ساترتويت ان استدرج الشاب إلى الحديث عن الموسيقى ، وقد أشرق وجه ايستناي على الفور وتكلم عن الموسيقى بحماسة دلت على أنه حقاً من عشاقها ، وجاء ذكر (يواشيم) ، ذلك المغني الذي استمع اليه ساترتويت في دار الأوبرا ، فاتفق الرجلان على أنه لا يوجد في الدنيا ما هو أجمل من الصوت الجميل .. وقال ايستناي أنه سمع كاروزو وهو صبي ، واستطرد قائلاً :

– هل تعلم انه كان إذا غنى أمام قدح من الزجاج ، تحطم القدح من قوة صوته ؟

فقال ساترتويت وهو يبتسم :

– أظن أن هذا مجرد اسطورة منقطعة الصلة بالحقيقة .

– بل إنها الحقيقة .. وأنا واثق من ذلك ، إنها حقيقة علمية لا شك من صحتها . تقوم على نظرية الذبذبة وتخلخل الهواء ..

وراح يؤيد نظريته بأسلوب علمي أذهـل ساترتويت واقنعه بسعة اطلاع محدثه ..

وكان الشاب يتكلم بحماسة وقد احمر وجهه وتألقت عيناه شأن من يتحدث عن شيء قريب إلى قلبه . فلم يتمالك ساترتويت من الاحساس بأنه أمام انسان خارق الذكاء ، بل أمام عبقري .. وعجب مرة أخرى كيف آثرت عليه جيليان شاباً خاملاً مثل بيرنز ..

ولاحظ ساترتويت أن الوقت قد مر بسرعة ، فطلب الحساب .
وقال الشاب معتذراً :

- يؤسفني أن أكون قد أثقلت عليك بالحديث ، ولكنها كانت مصادفة سعيدة أن تأتي الليلة إلى هنا .. فقد كنت بحاجة إلى رفيق .

وختم عبارته بضحكة قصيرة غريبة ، وتألقت عيناه على نحو ذكر ساترتويت بأبطال التراجيديا ..

قال هذا الأخير :

- الحق انني قضيت أمسية ممتعة .. وكان حديثنا مثيراً ومفيداً في وقت معاً .

وغادر المطعم ..

وكان الجو خانقاً ، فسار في الشارع ببطء ، وانتابه قلق غامض ، وأحس كأن هناك من يتعقبه ، واستبد به هذا الاحساس وهو يمشي متمهلاً في الشارع الهادىء المقفر ..

ومرت بذهنه صورة مستر كوين .. وتوهم أنه الذي يسير معه جنباً لجنب .. فأجال الطرف حوله بسرعة ، ولكنه لم يجد أحداً .

والح عليه التفكير في مستر كوين ، وازداد احساسه بالقلق والتطير .. وحدثته نفسه بفاجعة وشيكة ..

أغمض عينيه ، وراح يبحث في أعمـــاق نفسه عن مصدر هذه الأحاسيس .

ورأى بعين الخيال صورة جيليان وبست وهي وحدهـــا على مقربة من جهاز الراديو ..

ومر أحد باعة الصحف المسائية فابتاع نسخة وبحث فيها عن برنامج الاذاعة .. وقرأ في البرنامج اسم المغني يواشيم ..

انه سيغني مقطوعة من أوبرا (فاوست) ، ثم مختارات من الأغنيات الشعبية ، يختمها بأغنية (الرعاة) ..

نعم .. ان جيليان وحدها الآن في غرفتها .. وصوت يواشيم يجلجل عبر الأثير .

إنها تفعل ذلك نزولاً على رغبة فيليب ..

ولكن لماذا تقدم اليها فيليب بهذا المطلب الغريب ؟

انه ليس عاطفياً بحال .. بل على العكس .. انه عنيف ، بل وخطير ، نعم .. خطير .. خطير !

وأخذ يستعرض تفصيلات لقائه مع فيليب ، والموضوعـــات التي تناولتها أحاديثهما ؟

ترى هـــل كان حديث فيليب ايستناي هو مصدر احساسه بالقلق والتشاؤم ، وبأن كارثة توشك ان تنقض ؟

ماذا قال فيليب ؟

انه تحدث عن الحرب ، وعن كاروزو .. قال إن صوت يواشيم قريب الشبه من صوت كاروزو ..

إن جيليان تنصت الآن إلى هذا الصوت الواضح النبرات ، الذي يستطيع من فرط قوته أن يحطم كأساً من زجاج .

وافلتت من فمه آهة ذعر .

إن بواشيم يغني الآن في استوديوهات الاذاعـــة على بعد عدة كيلومترات من منزل جيليان .. ولكن هل يستطيع صوته ، من خـلال الراديو ان يحطم كأساً من الزجاج .. او آنية من زجاج رقيق كأنهـــا فقاعة صابون ، آنية لعلها ليست فارغة .

وفي هذه اللحـظة ظن المارة ان سارتويت قـد أصابه مس من الجنون ، فقد قذف بالجريدة على الأرض وانطلق يعـدو في الشارع .

وبعـد قليل ، رأى احدى سيارات الأجرة فـاستوقفهـا بصوت مرتفع ، ووثب إلى داخلها ، وذكر للسائق عنواناً ، وطلب اليه أن يسرع ، لأنها مسألة حياة أو موت !

وتهالك سارتويت على مقعده في السيارة ، ومرت بذهنه مقتطفـات من قوانين علم الطبيعة ، كما تعلمها في الجـامعة ، واختلطت بمقتطفـات من حديث فيليب ابستناي على مائدة العشاء .. عن الذبذبة !

إذا سارت كتيبة عسكرية بخطى منتظمة على جسر معلق ، فإن الجسر لا بد أن ينهار ..

هكـذا تفعل الذبذبة ويفعل التخلخل ، ولذلك لا يسير الجنود أبداً بخطى منتظمة على جسر معلق !

لقد توفر فيليب ابستناي على دراسة هذا الموضوع ، إنه شاب عبقري .

وتوسل سارتويت إلى الله أن يصل قبل فوات الأوان ، وعندما وقفت

السيارة أخيراً بباب المنزل ، صعد ساترتويت درج السلم وثباً كشاب رياضي في العشرين من عمره .

وعندما فتحت جيليان الباب ، كان صوت ياشبيم يردد آخر فقرة من أغنية (الرعاة) !

فتحت جيليان الباب وافسحت الطريق لكي تسمح لساترتويت بالدخول ، ولكنه لم يدخل ، وإنما جذبها بقوة إلى خارج الشقة حتى ظنت أن به خبلاً !

وفي هذه اللحظة . اختتم المطرب أغنيته بصيحة عالية ، دوت في أرجاء الشقة ورن صداها في الفضاء . واقترن ذلك كله بصوت آخر ضعيف ، هو صوت زجاج رقيق يتصدع .

ومرت بهما في الوقت نفسه قطة ضالة ودخلت الشقة ، فهمت جيليان باللحاق بها ، ولكن ساترتويت منعها وهو يتمتم قائلاً :

ـ كلا . كلا . إنه غاز قاتل .. لا رائحة له ، ولكن القليل منه يكفي لقتل أي كائن حي .. انهم لم يخترعوا شيئاً أشد خطورة منه ..

وراح يروي لها ما سمعه من ايستناي ، وأصغت اليه ولكنها لم تفهم شيئاً !

السيارة أخيراً بباب المنزل ، صعد ساترتويت درج السلم وثباً كشاب رياضي في العشرين من عمره .

وعندما فتحت جيليان الباب ، كان صوت بواشيم يردد آخر فقرة من أغنية (الرعاة) !

فتحت جيليان الباب وافسحت الطريق لكي تسمح لساترتويت بالدخول ، ولكنه لم يدخل ، وإنما جذبها بقوة إلى خارج الشقة حتى ظننت أن به خبلاً !

وفي هذه اللحظة . اختتم المطرب أغنيته بصيحة عالية ، دوت في أرجاء الشقة ورن صداها في الفضاء . واقترن ذلك كله بصوت آخر ضعيف ، هو صوت زجاج رقيق يتصدع .

ومرت بهما في الوقت نفسه قطة ضالة ودخلت الشقة ، فهمت جيليان باللحاق بها ، ولكن ساترتويت منعها وهو يتمتم قائلاً :

ــ كلا . كلا . إنه غاز قاتل .. لا رائحة له ، ولكن القليل منه يكفي لقتل أي كائن حي .. انهم لم يخترعوا شيئاً أشد خطورة منه ..

وراح يروي لها ما سمعه من ايستنباي ، وأصغت اليه ولكنها لم تفهم شيئاً !

- من أنت ؟

فتحدث ساتروبت طويلاً ، وروى الأحداث بترتيبها الطبيعي ، وختم حديثه بقوله :

- انني وصلت في الوقت المناسب .

ثم أردف قائلاً بصوت خافت :

- هل لديك ما تقوله ؟

وتوقع ثورة عارمة ، وعبارات عنيفة يحاول الشاب أن يبرر بها سلوكه ..

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ..

كل ما فعله الشاب انه قال :

- كلا .

ثم دار على عقبيه ، وابتعد !

وشيعه ساترتويت ببصره حتى توارى في الظلام ، ولم يتمالك من الاحساس بالعطف على ذلك الشاب التعس .

وبعد قليل ، سار في نفس الاتجاه الذي سار فيه الشاب ، وما لبث ان التقى به احد رجال الشرطة وسأله وهو ينظر اليه بارتياب

- هل سمعت صوت سقوط شيء في الماء ؟

- كلا !

- أعتقد ان بعضهم قد انتحر .

المليونير المفقود

كنت وبوارو قد دعونا صديقنـا القديم جـاب المفتش باسكتلنديارد لتناول الشاي معنـا في الشقة المؤثثة التي نقيم بهـا .. فجلسنا حول المائدة في انتظاره .

وراح بوارو ينظم وضع الأقداح والصحاف وأوعية السكر والمربى التي اعتادت ربة البيت أن تلقي بها على المائدة كيفما اتفق ، ثم أخرج منديله الحريري وأخذ يمسح به وعاء الكاكاو – شرابه المفضل – فقد كان يعاف تناول الشاي ويصفه بأنه السم الانجليزي .

وما هي إلا لحظات حتى سمعنا طرقاً على البـاب الخارجي ، وبعـد قليل دخل علينا جاب مهرولاً فحيـانا وقال :

– أرجو ألا أكون قد تـأخرت كثيراً . والواقع انني شغلت بالحديث مع ميلر ، مفتش البوليس المكلف بقضية دافنهايم ..

فارهفت أذني ، وتعلقت عيناي بشفتيه !

ذلك أن الصحف لم تكف طوال الأيام الثلاثة الأخيرة عن الحديث عن اختفاء مستر دافنهايم المليونير المعروف وأحد صاحبي بنك دافنهايم

وسالمون ، الذي يعد من أكبر وأقدم بنوك انجلترا .

وكان مستر دافنهايم قد غادر بيته في يوم السبت الماضي ولم يره أحد بعد ذلك ، ولهذا كنت مشوقاً إلى سماع مزيداً من التفصيلات المثيرة من المفتش جاب .

قلت :

– كنت أعتقد انه يستحيل على أي انسان أن يختفي تماماً في هذه الأيام .

فأبعد بوارو وعاء الزبد قليلاً وقال بحدة :

– كن دقيقاً في تعابيرك يا صديقي ، ماذا تعني بكلمة يختفي ؟ وأي نوع من الاختفاء تقصد ؟

فقلت ضاحكاً :

– وهل هناك أنواع مختلفة من الاختفاء ؟

وابتسم جاب أيضاً ..

فقطب بوارو حاجبيه ورد :

– طبعاً هناك أنواع مختلفة .. هناك ثلاثة أنواع .. الأول الاختفاء الاختياري ، وهو الأكثر شيوعاً . والثاني : الاختفاء نتيجة لفقدان الذاكرة ، وهو نوع نادر ولكنه موجود والثالث : الاختفاء نتيجة لجريمة قتل نجح مرتكبها في التخلص من الجثة بطريقة ما ، فهل تقول باستحالة هذه الأنواع الثلاثة جميعاً ؟

– تقريبـــاً .. فإنك قد تفقد ذاكرتك ، ولكن من المؤكد أنك ستقابل يوماً شخصاً يعرفك . خاصة إذا كنت شخصية معروفة مثل

دافنهـايم .

وفي حالة الاختفاء ، نتيجة لجريمة قتل ، فإن الجثث لا تتلاشى ولا تتبخر .. ولا بد ان تظهر عاجلاً او آجـلاً .. تحت نشز من الأرض أو في حقيبـة .. والمختلسون واللصوص ، لم يعـد من العسير الاهتداء اليهم في هـذا الزمن الذي انتشرت فيه وسائل الاتصالات السلكيـة واللاسلكية .. وأصبح من السهل محاصرة المجرم الهارب ورصده في المحطات والموانىء والمطارات ..

أمـــا الاختفاء داخل البلاد فمستحيل كذلك .. لأن وجه المختفي سيكون معروفاً لكل من يقرأ الصحف ..

فرد بوارو :

ـ أنت مخطىء يا صديقي ، لأنك لا تضع في تقديرك احـــتمال أن يكون الشخص الذي قرر أن يزيل شخصاً آخر .. أو أن يزيـــل نفسه من الذكاء والدقة وسلامة التفكير والتدبير بحيث يخدع رجـال الشرطـة ..

فرد جاب وهو ينظر اليّ ويغمز بعينيه :

ـ ولكن من المحقق انه لن يستطيع ان يخـدعك أنت يا مسيو بوارو .. أليس كذلك ؟

فتمتم بوارو وهو يحاول عبثاً ان يتواضع :

ـ ولم لا ؟ انني يمكن أن أخدع أيضاً رغم انني أعـالج مثل هذه المسائل بالأساليب العلمية الدقيقة .. وهو ما لا يفعله الجيل الجديد من رجال البوليس السري !

فقال جاب :

- انني أعتقد أن المفتش ميلر المكلف بتحقيق قضية اختفاء دافنهايم ، رجل ذكي لا يهمل صغيرة أو كبيرة ويقيم وزناً لكل أثر ، وله عينان تريان كل شيء ..

فقال بوارو :

- كذلك العصفور يا صديقي .. له عينان يرى بهما كل شيء .. ولكننا لا نستطيع مطالبة هذا الطائر الصغير بحل لغز اختفاء المليونير دافنهايم ..

- لا شك أنك لا تهون من قيمة الحقائق والتفصيلات الصغيرة كأدلة يا مسيو بوارو .

فقال بوارو :

- كلا طبعاً .. إن لهذه الأمور أهميتها ولكن الخطورة هي في تجسيم هذه الأهمية بلا مبرر ، وأغلب التفصيلات التي يقع عليها الباحث كثيراً ما تكون بلا قيمة على الاطلاق .

ثم استطرد قائلاً وهو يدق باصبعه على جبينه :

- إن العقل والخلايا الرمادية هي أهم ما ينبغي أن يعتمد عليه الباحث ، أما المشاعر والأحاسيس فإنها كثيراً ما تضلل صاحبها ، والانسان يجب أن يبحث عن الحقيقة في داخله لا في الخارج .

- هل تعني بذلك يا مسيو بوارو أنك تستطيع أن تحل لغز إحدى القضايا المعقدة دون أن تبرح مقعدك ؟

- هذا ما أعنيه تماماً ، بشرط أن تطرح الحقائق كلها أمامي ، وفي

هذه الحالة سيكون دوري هو دور الخبير الاستشاري .

فصاح جاب وهو يدق ركبته بيده :

- تباً لي إذا لم آخذك بكلمتك يا مسيو بوارو .. إنني أراهنك بخمسة جنيهات على أنك لن تستطيع أن تضع يدك .. أو أن ترشدني كيف أضع يدي على مستر دافنهايم حياً أو ميتاً خلال أسبوع من اليوم ..

ففكر بوارو قليلاً ثم قال :

- حسناً .. انني أقبل الرهان يا صديقي .. إن المراهنات هي رياضة الانجليز .. والآن ما هي الحقائق ؟

فرد جاب :

- في يوم السبت الماضي وكعادته في كل أسبوع استقل مستر دافنهايم قطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٠ من محطة فكتوريا قاصداً إلى شنجسايد حيث يوجد قصره الريفي ، وبعد أن تناول طعام الغداء طاف بحديقة القصر وأصدر بعض التعليمات للبستاني .. وقرر الجميع أنه كان طبيعياً تماماً !

وبعد تناول الشاي أطل من باب مخدع زوجته وقال لها أنه سيذهب إلى القرية سيراً على الأقدام ليضع بعض الرسائل في صندوق البريد ، وأضاف قائلاً أنه يتوقع أن يزوره شخص يدعى مستر لوين ليتحدث معه في بعض الأعمال .. فإذا اقبل هذا الرجل قبل عودتي ؛ فليذهب به كبير الخدم إلى غرفة المكتب ويطلب اليه الانتظار !

وغادر مستر دافنهايم القصر من الباب الأمامي .. ولم يره أحد بعد

ذلك ، اختفى تماماً !

فتمتم بوارو وقد أثاره هذا اللغز :

- رائع .. رائع .. أتمم حديثك يا صديقي ؟

- بعد نحو ربع ساعة .. اقبل إلى القصر رجل طويل القامة أسمر البشرة ذو شارب أسود كثيف ، فدق جرس الباب .. وقال أنه يدعى لوين وأنه على مع موعد مستر دافنهايم ، وتنفيذاً لأوامر المليونير ، ذهب به كبير الخدم إلى قاعة المكتب وطلب اليه الانتظار ..

وبعد فترة من الوقت ، دق مستر لوين جرساً وقال أنه لن يستطيع الانتظار أكثر من ذلك لأنه يجب أن يستقل القطار ليعود إلى لندن ، فاعتذرت له مسز دافنهايم عن تخلف زوجها ، الذي لم تجد له مبرراً ، فهي تعلم أنه كان ينتظر هذه الزيارة .. وعبر مستر لوين عن أسفه لعدم استطاعته الانتظار وانصرف !

ولم يعد مستر دافنهايم كما هو معروف ..

وفي صباح يوم الأحد ، اتصلت مسز دافنهايم برجال البوليس ، ولم يستطع البوليس الوصول إلى نتيجة ، فقد اختفى مستر دافنهايم تماماً ، كما لو كان قد تبخر في الهواء ، او كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعته ..

ثبت أنه لم يذهب إلى مكتب البريد ، وأن أحداً لم يره في القرية ، وأكد ناظر المحطة الذي يعرفه تمام المعرفة أنه لم يستقل أي قطار .

كذلك ثبت ان سيارته لم تبرح مكانها في الحظيرة .

وإذا كان قد اتفق مع سائق إحدى سيارات الأجرة على مقابلته في

مكان ما ، فإن الضجة التي أثيرت حول حادث الاختفاء والجائزة التي تقرر منحها لمن يدلي بمعلومات تلقي ضوءاً على الحادث ، كل ذلك كان خليقاً بأن يدفع السائق إلى الادلاء بمعلومات ..

صحيح أنه كان هناك سباق للخيل في انتفيلد على بعد خمسة أميال ، وان مستر دافنهايم إذا كان قد ذهب إلى هذه المدينة سيراً على الاقدام فمن المحتمل ألا يعرفه الجمهور ، إلا أن صورته وأوصافه قد نشرت منذ ذلك الوقت على نطاق واسع وفي جميع الصحف .

ولقد جاءتنا رسائل عديدة من شتى أنحاء انجلترا ، ولكن جميع المعلومات لم تسفر عن نتيجة .

وفي صباح يوم الاثنين ، حدثت مفاجأة جديدة .. كان مستر دافنهايم يحتفظ في غرفة مكتبه بخزانة حديدية كبيرة ، وقد وجدت هذه الخزانة محطمة ، واختفت كل محتوياتها ..

كانت نوافذ الغرفة موصدة من الداخل ، مما يدل على أن الحادث ليس حادث سطو عادي .. اللهم إلا أن يكون للص شريك في القصر أغلق نوافذ الغرفة من الداخل عقب السطو .. يضاف إلى ذلك أن السرقة لم تكتشف إلا في صبيحة يوم الاثنين ، بينما يحتمل أنها ارتكبت يوم السبت أو الأحد ، وحال الاضطراب الذي ساد للقصر بسبب اختفاء صاحبه دون اكتشافها في الوقت المناسب ؟

فقال بوارو :

- هذا صحيح .. ولكن هل قبضتم على مستر لوين المسكين ؟

- ليس بعد ، ولكننا وضعناه تحت المراقبة الدقيقة !

فهز بوارو رأسه ببطء ، ثم سأل :

– وماذا فقد من الخزانة ؟ هل لديك فكرة ؟

– لقد بحثنا الأمر مع شريك مستر دافنهايم .. ويبدو أن المليونير كان يحتفظ في خزانته بكمية ضخمة من السندات التي تصرف لحاملها ، وبكمية كبيرة أخرى من أوراق النقد ، بالاضافة إلى كمية من الجوهرات ، فقد اهتم دافنهايم في المدة الأخيرة بشراء الجوهرات .. وقلما كان يمضي أسبوع دون أن يقدم لزوجته هدية ثمينة من الحلي والجوهرات والأحجار الكريمة النادرة .

فسأل بوارو :

– إذاً فالسرقة جسيمة .. ولكن ماذا عن مستر لوين ؟ هل عرفتم لماذا ذهب لزيارة دافنهايم في ذلك المساء ؟

– يبدو أن الصلة بين الرجلين لم تكن طيبة ، فمستر لوين من المضاربين في الأوراق المالية على نطاق ضيق ، وقد ظفر بدافنهايم في بعض الصفقات ، ورغم أن الرجلين لم يتقابلا إلا نادراً .. ولعلهما لم يتقابلا اطلاقاً .. وقد حدد المليونير لمستر لوين هذا الموعد ليتباحث معه بشأن أسهم بعض المؤسسات المالية في أمريكا الجنوبية !

– هل لدافنهايم مصالح في أمريكا الجنوبية ؟

– أعتقد ذلك ، وقد ذكرت مسز دافنهايم عرضاً أن زوجها قضى الخريف الماضي كله في بونس أيرس .

– هل يواجه دافنهايم متاعب عائلية ! هل العلاقة بينه وبين زوجته طيبة ؟

- أعتقد ان حياته العائلية تتسم بالهدوء والاستقرار ، ومسز دافنهايم امرأة لطيفة ، ولكنها ليست على جانب كبير من الذكاء .. وأستطيع أن اقول أنها بلا شخصية .

- إذاً لا ينبغي أن نبحث عن حل اللغز داخل الأسرة ، هل كان له أعداء ؟

- كان له منافسون كثيرون في حقل المعاملات المالية ، ولا شك أن كثيرين ممن انتصر عليهم لا يضمرون له خيراً . ولكن ليس معنى ذلك ان بينهم من يرغب في إزالته .. وإذا كان الأمر عكس ذلك فأين الجثة ؟

- تماما .. وكما قال صديقنا هاستنجز .. إن الجثث لا بد ان تظهر بطريقة ما إن عاجلا أو آجلا !

- وبالمناسبة .. يقول البستاني أنه رأى شخصا يدور حول ركن القصر في اتجاه حديقة الزهور ، وغرفة المكتب بها باب يؤدي إلى حديقة الزهور ، وكثيراً ما كان دافنهايم يدخل القصر او يغادره عن طريق هذا الباب ، وكان البستاني في مكان بعيد ، فلم يتبين هل الرجل الذي رآه هو دافنهايم أم لا .

كذلك لم يستطع البستاني تحديد الوقت بالضبط ، ولكن الراجح ان الساعة لم تكن قد بلغت السادسة ، لأن عمال البساتين يكفون عن العمل عادة في الساعة السادسة مساء .

- متى غادر دافنهايم القصر ؟

- حوالي الخامسة والنصف !

– وماذا يوجد وراء الحديقة ؟

– بحيرة !

– وكوخ للقوارب ؟

– نعم ، كوخ يوضع به زورقان . لا شك أن وجود البحيرة يوحي اليك بأن المليونير قد انتحر .. أليس كذلك يا مسيو بوارو ؟ ولكني أطمئنك بأن المفتش ميلر سيشرف بنفسه غداً صباحاً على عملية البحث في قاع البحيرة ، إنه رجل دقيق في عمله كما قلت لك !

فابتسم بوارو وتحول اليّ قائلاً :

– أرجوك أن تأتيني بجريدة الديلي ميجافون يا هاستنجز ، فإنها على ما أذكر قد نشرت صورة واضحة جداً للمليونير المفقود .

فأحضرت له الجريدة المطلوبة ، ونظر بوارو إلى الصورة بامعان وقال يصف المليونير :

– شعره طويل مجعد وشاربه كثيف ولحيته مدببة وعيناه سوداوان ؟

– نعم ..

– وقد وخط الشيب شعر رأسه ولحيته ؟

– نعم . والآن ما رأيك يا مسيو بوارو ؟ إن القضية واضحة كل الوضوح ، أليس كذلك ؟

– على العكس .. إنها غامضة تماماً .

فبدت دلائل الارتياح على وجه المفتش جاب ..

واستطرد بوارو قائلاً بهدوء :

– وذلك يضاعف أملي في سرعة حلها !

– ماذا تعني ؟

– إنني أرى في غموض القضية علامة طيبة .. أما الوضوح فائق الحد ، فإنه يثير ريبتي ، لأنه يوحي بأن هناك من تعمد أن يجعله كذلك .

فهز جاب رأسه بشيء من الاشفاق وقال :

– لكل انسان وجهة نظره ، ولكنني لا ارى ضرراً في أن يجد الانسان الطريق واضحاً أمامه .

– إنني لا أنظر إلى الطريق ، انا أغمض عيني وافكر .

فتنهد جاب وقال :

– على كل حال ، أمامك أسبوع بطوله للتفكير .

– ولكن عليك أن توافيني بالتطورات أولاً بأول . وخاصة بنتائج أبحاث صديقك الذكي جداً والدقيق جداً المفتش ميلر .

– طبعاً ، طبعاً .. إن اتفاقنا على الرهان يتضمن ذلك !

وعندما هم جاب بالانصراف ، رافقته إلى الباب ..

فقال لي في همس :

– إن الرهان مجحف به ، وأنا أشعر كمن يسرق النقود من طفل .

فابتسمت تعبيراً عن موافقتي ، وكانت الابتسامة لا تزال تتلاعب على شفتي حين عدت إلى مكاني أمام المائدة .. فقال بوارو على الفور :

– أتسخرون من بوارو العجوز ؟ ألا تثقان في خلاياه الرمادية ؟ حسناً .. دعنا نستعرض القضية ، وأرجو ألا يختلط الأمر عليك ، إنها لم تتم فصولاً بعد ، ولكن هناك نقطة أو نقطتان تثيران الاهتمام .

- تعني البحيرة ..
- بل هناك ما هو أهم من البحيرة ، هناك الكوخ الذي توضع فيه القوارب !

فنظرت اليه من ركن عيني !
ورأيت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وأحسست حينئذ بأنه لا جدوى من الالحاح عليه بالأسئلة ..

* * *

لم يتصل بنا جاب إلا في مساء اليوم التالي ، حين اقبل علينا قبيل الساعة التاسعة ، ولاحظت من نظراته وقسمات وجهه أن لديه أنباء يتحرق شوقاً إلى الادلاء بها !

هتف بوارو حين رآه :
- هل كل شيء على ما يرام يا صديقي ؟! ولكن بالله لا تنبئني أنكم عثرتم على جثة دافنهايم في البحيرة ، لأني لن اصدق ذلك !

فرد المفتش :
- إننا لم نعثر على جثة دافنهايم ، ولكننا عثرنا على الثياب التي كان يرتديها يوم اختفائه ، فما قولك في ذلك ؟
- هل فقدت من القصر ثياب أخرى ؟
- كلا .. والخادم واثق من ذلك ، إنه يؤكد أن كل ثياب دافنهايم موجودة في اماكنها ، ولكن الأهم من ذلك كله اننا قبضنا على لوين ،

فقد قالت الخادمة المكلفة باغلاق نوافذ غرفة النوم أنها رأت لوين في حديقة الزهور ، في طريقه إلى غرفة المكتب في نحو السادسة والربع اي قبل مغادرته القصر بنحو عشر دقائق .

– وماذا قال هو عن ذلك ؟

– انكر في البداية أنه غادر غرفة المكتب ، ولكن الخادمة كانت واثقة ، فزعم انه نسي حقاً انه غادر الغرفة فعلا لكي يفحص زهرة غير عادية رآها في الحديقة ، وهو عذر ضعيف ، اليس كذلك ؟

ولقد ظهر دليل جديد ضده ، فإن مستر دافنهايم كان يزين خنصره دائما بخاتم من الذهب ، مرصع بماسة كبيرة .. ولقد ذهب رجل يدعى بيلي كيلرت بهذا الخاتم إلى أحد محال الرهون في لندن ليلة السبت ، وكيلرت هذا معروف في دوائر البوليس ، وسبق الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر في الخريف الماضي بتهمة نشل ساعة احد المواطنين ، ويبدو انه تردد على خمسة محال للرهون في محاولاته اليائسة لرهن الخاتم ، ونجح في المحاولة الأخيرة ، وما أن حصل على مبلغ الرهن حتى أسرع إلى احدى الحانات حيث شرب حتى ثمل ، ثم اعتدى على أحد رجال الشرطة ، فزج به في السجن .

وقد ذهبت مع ميلر لمقابلته في سجن بوسلتريت ، واستطعنا أن نلقي الذعر في قلبه ، إذ افهمناه أنه يحتمل جداً أن يتهم بقتل دافنهايم وحينئذ أدلى الينا بالقصة الغريبة التالية ..

قال أنه ذهب إلى سباق الخيل في انتفيلد يوم السبت الماضي ، وأنا أعتقد انه ذهب للسرقة والنشل لا المراهنة . وقال أن النحس لازمه

في ذلك اليوم فخسر كل ما كان معه ، وعاد في الطريق إلى شنجسايد سيراً على قدميه .

وقبل أن يصل إلى القرية ، جلس في حفرة ليستريح ، وبعد بضع دقائق رأي رجلا أنيقاً أسمر البشرة ، ذا شارب ضخم يسير في الطريق إلى القرية .

وكان كيلرت مختفياً في الحفرة وراء كومة من الأحجار . فرأى الرجل ينظر حوله بسرعة ، ولما تأكد من أن أحداً لا يراه ، أخرج من جيبه حزمة صغيرة القى بها في الحقل المجاور ، ثم واصل سيره من الطريق إلى المحطة .

ويبدو أن سقوط الحزمة الصغيرة في الحقل أحدث رنيناً أثار فضول كيلرت ، فانتظر حتى ابتعد الرجل ثم خرج من مخبئه وراح يبحث عن الحزمة حتى عثر عليها فوق حجر على حافة الحقل . وحينما فض الحزمة ، وجد بها الخاتم ..

تلك هي قصة كيلرت ، وقد كانت الصفات التي ذكرها عن الرجل تنطبق على لوين ، ولكن لوين انكر تماماً أن له أية صلة بحادث الخاتم ، وطبيعي انه لا يمكن التعويل على كلام شخص مثل كيلرت ، والأرجح انه قابل دافنهايم في طريق مقفرة وقتله وسرق خاتمه .

فهز بوارو رأسه وقال :

– اني لا أرجح ذلك يا صديقي .. فليست لديه وسيلة للتخلص من الجثة . ولو صح انه قتل دافنهايم لكانت الجثة قد ظهرت ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى . فإن الطريقة العلنية التي لجأ اليها في رهن

الخاتم تؤكد انه لم يقتل ليسرق ، يضاف إلى ذلك ، ان النشال قلما يقدم على ارتكاب جريمة قتل .

فهز جاب رأسه ببطء وقال :

– لا استطيع ان ازعم انك لست على صواب ، ولكنك ان تجد هيئة من المحلفين تقيم وزناً لشهادة مجرم عنيد مثل كيلرت ، والأمر الذي يثير عجبي وحيرتي ، هو ان لوين لم يوفق إلى وسيلة اخرى ابرع واجدى للتخلص من الخاتم !

فهز بوارو كتفيه وقال :

– على كل حال فإن وجود الخاتم في تلك المنطقة يمكن ان يوحي بأنه قد سقط من دافنتم نفسه .

فقلت :

– ولكن إذا كان لوين هو القاتل ، فلماذا نزع الخاتم من اصبع المليونير ثم تخلص منه بالقائه في الحقل ؟

فقال جاب :

– لا بد ان هناك سبباً . وبهذه المناسبة ، هل تعلم ان في الضفة الأخرى للبحيرة طريقاً تؤدي إلى التل حيث توجد جيارة ضخمة (فرن لحرق الجير) ؟

فصحت :

– يا إلهي ! هل تعني ان الجير الذي اباد الجثة . لا يؤثر على معدن الخـــاتم ؟

– تمـــاماً !

فقلت :

- يخيل الي أن هذا يفسر كل شيء ، يا لها من جريمة مخيفة !

ونظرنا إلى بوارو .. وخيل الينا انه مستغرق في تفكير عميق ، فقد كان مقطب الجبين ، شارد البصر .

ترى ماذا سيكون تعقيبه على هذا التفسير ؟

ولم يطل انتظارنا ، إذ لم يلبث بوارو ان تنهد وانبسطت اسارير وجهه ، وتحول إلى جاب وسأل :

- هل لديك اية فكرة ايها الصديق عما إذا كان دافنهايم وزوجته ينامان في غرفة واحدة ؟

وكان السؤال مفاجأة غير متوقعة ، فحملقنا نحوه في ذهول ، ثم انفجر المفتش ضاحكاً وصاح :

- يا إلهي يا مسيو بوارو .. لقد ظننت انك ستفاجئنا بفكرة مدهشة ، رغما يختص بسؤالك فإني لا اعرف الجواب !

فقال بوارو بالحاح عجيب :

- هل في استطاعتك ان تعرف الجواب ؟

- طبعا .. إذا كنت تصر على معرفته .

- اشكرك يا صديقي وارجوك الا تنسى !

فحملق المفتش في وجهه مرة اخرى بينما عاد بوارو إلى التفكير .. وهز رأسه ونظر اليه مشفقاً ثم تحول الي وهمس :

- مسكين هذا الرجل ، يخيل الي ان احداث الحرب قد اثرت على عقله واعصابه ..

وانصرف المفتش في هدوء ، وظـل بوارو مستغرقـاً في التفكير ..
فتناولت ورقة واخذت اتسلى بكتابة بعض الملاحظات ، إلى ان تنبهت
اخيراً على صوت بوارو وهو يقول :

ـ ماذا تفعل يا صديقي ؟

ـ كنت اسجل النقط التي يخيل اليّ انها اهم من غيرها في هذه القضية !

فقال بوارو بارتياح :

ـ ها انك قد اصبحت منهجياً ..

ـ هل اتلو عليك ما كتبت ؟

ـ اكون شاكراً لو فعلت !

فقرأت :

اولاً : جميع الدلائل تشير إلى ان لوين هو الشخص الذي سطـا
على الخزانة .

ثانياً : كان لوين يحقد على دافنهايم .

ثالثاً وقد كذب حينما قال في البداية انه لم يغادر غرفة المكتب .

رابعاً إذا كان كيلرت صادقا في روايته .. فـإن إدانة لوين تصبح
امراً مفروغا منه .

وكففت عن القراءة ونظرت اليه ، وانا اشعر بأني قد وضعت اصبعي
على النقاط الرئيسية وسألته :

ـ ما رأيك ؟

فنظر اليّ باشفاق ، وهز رأسه في رفق وقال :

ـ يا صديقي المسكين .. إن موهبتك لم تنضج بعد ، ولقد غفلت

عن أهم النقاط .

– كيف ؟

– دعني أبدأ بأولى ملاحظاتك !

أولاً : مستر لوين لم يكن يعلم ان ستتاح له فرصة للسطو على الخزانة ، فقد جاء لمقابلة دافنهـايم دون أن يكون له علم مسبق بأن هذا الأخير سيذهب إلى القرية ليضع رسالة في صندوق البريد ، وأنه (أي لوين) ، سيجد نفسه بمفرده في غرفة المكتب .

فقلت :

– لعله وجد نفسه بمفرده فانتهز الفرصة .

– وأدوات فتح الخزانة ؟ إن كرام الناس لا يخفون أدوات اللصوص في جيوبهم ، في رواحهم وغدوهم .

– حسناً .. وما رأيك في الملاحظة الثانية ؟

– تقول أن لوين يحقد على دافنهـايم .. تعني أنه ظفر به في صفقة أو صفقتين . أي انه حقق لنفسه ربحاً في صفقة أو صفقتين انتزعهما من دافنهايم . والمألوف أنك لا تحقد على الشخص الذي انتصرت عليه ، والعكس هو الصحيح . فإذا كان هناك حقد بين الرجلين ، فهو حقد دافنهايم على لوين .

– ولكن هل تنكر أنه كذب في موضوع خروجه من غرفة المكتب ؟

– كلا . ولكن من المحتمل أنه كذب بدافع الخوف ، لقد وجدت ثياب المليونير المفقود في قاع البحيرة ، فخشي أن يتهم بقتله ، ولكن كان من الأفضل طبعاً أن يقول الحقيقة .

- والملاحظة الرابعة ؟

- اني أوافقك عليها ، نعم . إذا صحت رواية كيلرت فإن لوين يكون متورطاً في الجريمة ، وهذا وجه الطرافة في القضية .

- معنى ذلك اني وضعت اصبعي على نقطة هامة !

- ربما .. ولكنك غفلت عن نقطتين أكثر اهمية نقطتين هما مفتاح اللغز كله .

- وما هما ؟

- الأولى ولع دافنهايم في السنوات الأخيرة بشراء المجوهرات ، والثانية الرحلة التي قام بها إلى بونس ايرس في الخريف الماضي !

- بوارو .. لا شك انك تهزي ..

- إنني جاد تماماً . ولكني أرجو ألا ينسى صديقنا المفتش جاب السؤال البسيط الذي طلبت اليه البحث عن جوابه .

ولم ينس المفتش جاب ، فقد وردت برقية في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي باسم بوارو . وطلب إليّ ان افضها . ففضتها وقرأت فيها ما يلي :

« الزوج والزوجة ينامان في غرفتين منفصلتين منذ الشتاء الماضي .

فصاح بوارو :

- آه .. ونحن الآن في منتصف يونيه ، لقد وضح كل شيء !

فنظرت اليه في دهشة ..

قال :

- هل لك اموال مودعة في بنك دافنهايم وسالمون ايها الصديق ؟

- كلا . لماذا ؟

- لأنني أريد أن أنصحك بسحب أموالك من هـــذا البنك قبل فوات الأوان !

- لمـاذا ؟ مـاذا تتوقع ؟

- أتوقع انهيار هذا البنك بعد بضعة أيام ، وربما اسرع من ذلك .. وبهذه المناسبة ، يجب ان ارد على برقية جـاب .. ارجوك ان ترسل اليه هذه البرقية :

« أنصح لك بأن تسحب أموالك من بنك المليونـير » .

ستثير هذه البرقية فضوله واهتمامه ، وستجعـله يفتح عينيه ، ولكنه لن يدرك مغزاها تماماً إلا غداً او بعد غد ..

ولم اصدق نبوءة بوارو .. إلى ان ارغمتني أحداث اليوم التـالي على الاعتراف له بصدق الحدس وسلامة المنطق .

فقد نشرت جميع صحف الصباح بحروف كبيرة في صفحاتها الأولى نبأ افلاس بنك دافنهايم .. وقالت ان التحقيق في حادث اختفاء المليونير قد بدأ يسير في اتجــاه جديد على ضوء ما كشف عنه المركز المالي للبنك ؟

* * *

قبل ان نفرغ من تناول افطـارنا فتح الباب بعنف ودخل المفتش جاب مهرولاً وفي يمناه إحدى صحف الصباح ، وفي يسراه برقية بوارو .

صاح وهو يضع البرقية على المائدة أمام صديقي :

– كيف علمت بحق السماء !

فابتسم بوارو في هدوء وقال :

– لقد وصلت الي برقيتك ايها الصديق فأكدت ظنوني .. الواقع ان الأشياء التي سرقت من الخزانة لفتت نظري منذ البداية .. فماذا كانت هذه الأشياء ؟

أوراق نقد ، وسندات تدفع قيمتها لحاملها ، ومجوهرات .. اي ثروة جاهزة يمكن تداولها في اي وقت ، وفي اي مكان .. ومن الذي جهز هذه الثروة واعدها ؟ دافنهايم ..

– لمن ؟

– لنفسه طبعاً .. لقد دبر كل شيء بعناية ودقة ، وبدأ التنفيذ يوم بدأت هوايته المجوهرات والأحجار الكريمة .. كان يختصر أموال البنك ويحولها إلى مجوهرات يودعها خزائن البنك ..

واكبر الظن أنه كان مع مرور الوقت يستبدل تلك المجوهرات بأخرى زائفة يودعها خزائن البنك ، ويحتفظ بالمجوهرات الحقيقية في خزائنه الخاصة بغرفة مكتبه .

وبعد ان فرغ من اعداد خطته وشرع في تنفيذها ، ضرب موعداً لمستر لوين الذي اوقعه سوء حظه في طريقه جملته ينتصر عليه في صفقة او صفقتين .. ثم احدث ثقباً في الخزانة ، واصدر تعليماته باقتياد الزائر إلى قاعة المكتبة فور حضوره ، وغادر المنزل !

وهنا كف بوارو عن الكلام وتناول بيضة مسلوقة ، ونظر اليها

وقطب حاجبيه وقال :

– أليس عجيباً ان تبيض كل دجاجة بيضة تختلف في حجمها عن بيض غيرها من الدجاج ؟ كيف يمكن والحالة هذه إيجاد نوع من التناسق على مائدة الطعام ؟ اما كان يجدر بالتاجر ان يفرز البيض وفقاً لحجمه ..

فصاح جاب في ضيق وفروغ صبر :

– دعنا من البيض الآن ، ودع الدجاجات تضع بيضاً مربعاً إذا شاءت وحدثنا اين ذهب صديقنا دافنهايم بعد ان غادر القصر ، هذا إذا كنت تعلم !

– ذهب إلى المخبأ .. إنه رجل منحرف ولكن له عقلية جبارة ، وخلاياه الرمادية من الطراز الأول !

– هل تعرف اين اختبأ ؟

– طبعاً اعرف !

– اين بحق السماء ؟ اخبرنا !

فأخذ بوارو يجمع قشر البيض في صحفته حتى جعل منه كومة واحدة وضع فوقها قدحا ، ثم نظر الينا وابتسم وقال :

– انكما رجلان ذكيان ، فهل تساءلتما كما تساءلت انا : لو كنت في مكان هذا الرجل فأين اختبيء ؟ بماذا تجيب على هذا السؤال يا هاستنجز ؟

– اظن انني لو كنت مكانه لما فكرت في الفرار ولبقيت في قلب لندن اركب الأوتوبيس وانتقل بمترو الأنفاق ، وانا مطمئن ٩٠ في المائة الى ان

احداً لن يتعرف علي .. ان هناك نوعا من الأمان وسط جموع الجماهير .

فنظر بوارو الى المفتش وسأل :

- وانت ايها الصديق ؟

فقال المفتش :

- انني لا اوافق مستر هاستنجز ولو كنت مكان دافنهايم لأطلقت ساقي للريح ، فـذلك هو فرصتي الوحيدة ، ولا بد ان اكون قد تدبرت الأمر سلفا ، واعددت يختا ارحل به الى اقصى الأرض قبل ان يشرع البوليس في مطاردتي !

ونظرنا - كلانا - إلى بوارو .. وسألناه بصوت واحد :

- ما رأيك يا مسيو بوارو ؟

فظل صامتاً لحظة ، ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

- لو أردت الاختفاء عن أعين البوليس ، فهل تعرفان أين اختفي ؟ في السجن !

- ماذا تقول ؟

- إنكم تبحثون عن مستر دافنهايم لتلقوا به في السجن ، ولذلك لن يخطر ببالكم أن تبحثوا عنه داخل السجن .

- ماذا تعني ؟

- إنك قلت لي أن مسز دافنهايم سيدة لطيفة ولكنها ليست على جانب كبير من الذكاء ، ومع ذلك فإنني أعتقد أنك لو ذهبت بها إلى سجن بوستريت وواجهتها بالسجين المدعو بيلي كيلرت فإنها ستتعرف عليه في الحال رغم أنه حلق شعره ولحيته وشاربه وأزال حاجبيه ، إن الزوجة

تستطيع معرفة زوجها مهما تغير شكله وتبدلت ملامحه .

ــ ولكن هذا المجرم معروف لرجال البوليس ؟

ــ بيلي كيلرت ؟

ــ ألم أقل لك ان دافنهايم شخص بارع ؟ لقد دبر لعبتــه منذ وقت طويل ، فلم يذهب إلى بونس أيرس في الخريف الماضي كما أشاع ، وإنما بقي في لندن ليبرز شخصية بيلي كيلرت ، ودخل السجن وقضى فيه ثلاثة أشهر حتى لا يرتاب رجال البوليس في أمره عندما يحين الوقت .

كان يلعب لعبته الخطيرة للاستيلاء على ثروة ضخمة .. وللحصول في ذات الوقت على حريته ، وهما مطلبان جديران بكل تضحية مهما بلغت ولكن حدث ..

ــ نعم ؟

ــ بعد خروجه من السجن .. كان يتعين عليــه أن يستخدم شعراً مستعاراً ليبدو في مظهره القديم المعروف عن مستر دافنهايم ، ولما كان الاحتفاظ بالشعر المستعار في فراش الزوجية أمراً بالغ الصعوبة ، فإنــه لم يجد بداً من الابتعاد عن زوجته .. ولقد اكتشفت انت أنه وزوجته يبيتان في غرفتين منفصلتين منذ ستة شهور .. أي منذ عودته من رحلته المزعومة إلى بونس إيرس .. فحقق هذا الاكتشاف كل ظنوني

إن البستاني الذي قال أنه رأى سيده يسير خارج المنزل كان على صواب .. فقد قصد المليونير إلى كوخ القوارب ، وهناك خلع ثيــابه ، وارتدى ثياب المتشرد بيلي كيلرت التي عرف كيف يخفيها تماماً عن خادمه ، ثم ألقى بثيابه في البحيرة ومضى في تنفيذ خطته ، فرهن الخاتم

بطريقة تكاد أن تكون علنية ، واعتدى بعد ذلك على رجل البوليس الذي اقتاده إلى السجن ، حيث لا يخطر ببال احد أن يبحث عنه بداخله .

فهتف المفتش :

– هذا مستحيل ؟

فقال بوارو وهو يبتسم :

– سل مسز دافنهايم ..

وفي اليوم التالي ، تسلم بوارو خطاباً مسجلا ما ان فضه حتى وجد به ورقة مالية ذات خمسة جنيهات ، فقطب حاجبيه وهتف :

– يا إلهي ! ماذا أفعل بنقود جاب المسكين ؟ آه .. لقد خطر لي خاطر .. سنتناول طعام العشاء معاً نحن الثلاثة .. فإنني إذا احتفظت بهذا المبلغ فكأنني أسرق طفلا .. ماذا يضحكك يا صديقي ؟

الخير والشر

- ١ -

دخل القس بارفيت عربة القطار وهو يلهث .. وتكاد أنفاسه أن تنقطع ..

لم يكن لشخص في مثل سنه أن يركض مئات الأمتار للحاق بالقطار قبل أن يتحرك ، خاصة بعد أن ترهل جسمه وثقل وزنه ، ولم يعد قوامه رشيقاً كما كان في وقت ما .

أنه أصبح يميل نحو البدانة ، ويلهث بعد كل مجهود ، ويقول كلما سئل عن ذلك ، إنه قلبي .. لقد أدركته الشيخوخة .

والقى القس بنفسه على مقعد في ركن احدى مركبات الدرجة الأولى وتنهد بارتياح ..

كان الجو في المركبة دافئاً ، على عكس الجو في الخارج حيث كان البرد يتساقط بلا هوادة ، والجليد يغطي الطرقات .

لقد كان من حسن حظه حقاً انه وجد ركناً دافئاً يقبع فيه

خلال رحلته الليلة الطويلة ، وقاده ذلك إلى التساؤل لماذا لا يلحقون بهذا القطار عربة للنوم .

كان المقعد الذي يجلس فيه يتسع لشخصين ، وكذلك كان المقعد المقابل له .

وكانت الأماكن الثلاثة الأخرى قد شغلت فعلاً ..

ولاحظ القس أن المسافر الذي يجلس أمامه يبتسم له كما لو كان يعرفه

كان ذلك المسافر شخصاً حليق الوجه ، قد وخط الشيب سوالفه ، وما أن تفرس فيه القس حتى تذكره ، وعرف فيه السير جورج داورنت المحامي المشهور .

قال المحامي وهو يبتسم :

– يبدو انك ركضت طويلاً لكي تلحق بالقطار يا بارفيت .

فقال القس :

– نعم .. واني لأخشى أن يضار قلبي من المجهود الذي بذلته .. إنها لمصادفة سعيدة ان القاك هنا يا سير جورج ، هل انت ذاهب شمالاً ؟

فرد السير جورج :

– الواقع انني سأذهب إلى نيوكاسل ، وبهذه المناسبة ، هل تعرف الدكتور كامبل كلارك ؟

وأشار إلى الشخص الذي يجلس على نفس المقعد مع القس .. فالتفت هذا إلى القس ، وابتسم له وحياه بانحناء رأسه .

واستطرد المحامي قائلا :

– اننا التقينا على رصيف المحطة ، وتلك مصادفة ثانية .

ونظر القس الى الدكتور كامبل كلارك باهتمام وفضول . كان قد سمع عنه كثيراً ، فهو طبيب كبير ، ويعد في الطليعة بين الأخصائيين في الأمراض النفسية والعقلية ، وقد أثار كتابه الأخير : « مشكلة العقل الباطني » ضجة كبيرة في الدوائر العلمية والطبية .

وتفرس القس في وجه الطبيب ، ونظر الى عينيه الزرقاوين وفكيه البارزين وشعره الأشيب الذي أدركه النحول ، واحس على الفور بأنه ينظر الى شخصية قوية .

ونظر القس ضمنا الى المسافر الرابع الذي يجلس في المقعد المقابل بجوار السير جورج ، وتوقع أن يتعرف عليه أيضا ، ولكنه تبين انه غريب عنه تماما ، وان ملامحه وقسمات وجهه تكاد توحي بأنه أجنبي .

كان شخصا نحيفـا ، أسمر البشرة .. قد التف بمعطفه واستغرق في النوم .

وقال الدكتور كامبل كلارك بصوت لطيف ترتاح الاذن الى سماعه :

– القس بارفيت ، واعظ كنيسة برادشستر ؟

وأحس القس بالخيلاء ..

حقا .. لقد أصابت مواعظه (العلمية) نجاحا كبيراً ، وجعلت منه شخصا مشهوراً ، خاصة بعد أن تناقلتها الصحف ، وتحدثت عنها .. ووصفته بأنه الواعظ العصري .. الذي تحتاج الكنيسة الى الكثيرين من أمثاله .

قال القس :

– انني قرأت كتـــابك الأخير باهتمام شديد يا دكتور كلارك .. ولكني لا أكتمك أن به كثيراً من الاصطلاحـــات الفنية التي لم استطع فهمها .

وهنا قال سير جورج :

– ماذا ستفعلان خلال الرحلة ؟ هل ستقضيان الوقت في الحـديث أو بالنوم ؟ أنا شخصياً أعاني من الأرق وأفضل الحديث ؟

فقال القس :

– طبعاً ، طبعاً .. انني قلما أنام في مثل هذه الرحلات ، وقد احضرت معي كتاباً ، ولكنه غير مشوق ولا يغري بالقراءة .

فابتسم الدكتور كلارك وقال :

– على كل حال ، نحن هنا نمثل ثلاثة قطاعات هـامة في المجتمع : الكنيسة والقانون والطب .

فضحك سير جورج وقال :

– أي أنه لا توجد مشكلة لا نستطيع فيما بيننا أن نبدي فيهـا رأياً صائباً . الكنيسة من الناحية الروحية ، وأنا من الناحية الاجتماعية والقانونية ، والدكتور كلارك من الناحية الطبية والنفسية ..

– أعتقد أن في مقدورنا ، إذا تبـادلنـا وجهات النظر أن نحسم العديد من المشكلات .

فقال الدكتور كلارك :

– أرى أنك قد أغفلت إحدى وجهات النظر رغم أهميتها !

– أية وجهة نظر تعني ؟

– وجهة نظر رجل الشارع .

– وهل لها أهمية ؟ إن وجهة نظر رجل الشارع يثبت خطؤها دائماً !

– هذا صحيح .. ولكنها تتميز بالشيء الذي تفتقر اليه وجهات نظر الخبراء ، وأعني .. الطابع الشخصي .. إن الانسان لا يستطيع أبداً أن يتخلص من علاقاته الشخصية ، هذه حقيقة اكتشفتها من خلال عملي .. لقد وجدت أن كل شخص يأتي اليّ وهو مريض حقاً ، يقابله خمسة أشخاص على الأقل ليس بهم من شيء إلا عجزهم عن معايشة الآخرين ، والحياة في وئام وسعادة مع الذين يقيمون معهم في نفس المنزل ، انهم يتوهمون الاصابة بمختلف أنواع الأمراض ، من توتر الأعصاب إلى الشد العضلي .. بينما الحقيقة انهم لا يعانون إلا من احتكاك بين إرادتين ، ومعركة بين عقلين .

فقال القس :

– أعتقد أن لديك الكثيرين من مرضى الأعصاب يا دكتور ؟

كان هو شخصياً يفاخر بقوة أعصابه ..

فتحول اليه الطبيب بسرعة البرق وقال :

– ماذا تعني يا سيدي القس ؟ ان الناس يتكلمون عن الأعصاب باستخفاف ويضحكون ، يقول أحدهم : ما خطب فلان ؟ فيجيبه آخر ليس به من شيء ، انها أعصابه فحسب ..

ألا تعرف يا سيدي القس أن الأعصاب هي أهم شيء في جسم

الانسان ، وانها مصدر اكثر الأمراض التي يعاني منها البشر ؟ ولكننا للأسف لا نعرف اليوم عن أسباب المئات من الأمراض العصبية اكثر مما كان أسلافنا على عهد الملكة فكتوريا .

فقال القس وقد ادهشته حدة الطبيب :

– أحقا ؟

فقال الطبيب :

– لقد كنا فيما مضى نقول في تعريف الانسان انه حيوان عاقل ؛ له جسم وعقل ، ركنا نضفي كل الأهمية على الجسم ..

فقال القس مصححا :

– جسم وعقل وروح .

فمرت على شفتي الطبيب ابتسامة غريبة وقال :

– الروح ؟ ماذا تعنون بالروح يا رجال الدين ؟ لقد اقتصرتم طوال الأجيال على تعريف الروح تعريفا غامضا يفتقر الى الوضوح .

فتأهب القس استعداداً لالقاء محاضرة عن الروح ، ولكن الطبيب لم يتح له الفرصة واستطرد يقول :

– ثم هل نحن على يقين من ان للانسان روحا لا ارواحا ؟

فقطب سير جورج ما بين حاجبيه وقال متسائلا .

– أرواح ؟

فنظر اليه الدكتور كلارك وقال :

– نعم ..

ثم انحنى نحوه وقال وهو يدق صدره بيده :

– هل انت واثق من انه لا يوجـــد في هذا الهيكل سوى ساكن واحد ؟ ساكن يقيم فيه عشرين او اربعين او سبعين ، او قل مـا شئت من أعوام ، ثم يبدأ في نقل حوائجه شيئاً فشيئـا الى ان يترك المسكن خرابا تقوضه يد الفناء ؟

انت السيد في هذا المسكن ، هذا أمر لا شك فيه ..

ولكن ألا تشعر بأن معك في هذا المسكن سكانا آخرين لا تراهم : ولكنك تحس بأعمالهم حين تنسحب نتائجها عليك ؟

فنظر اليه المحامي مبهوتاً وقال :

– يا عزيزي كلارك ، هل تريد ان تقول أن عقـلي ميدان لمعركة يستمر أوارها بين شخصيات مختلفة ؟

فهز الطبيب كتفيه وأجاب :

– ولم لا ؟

فقال القس :

– الحق أن هذه نظرية طريفة .

وقال لنفسه :

– لا بد أن أجعل هذه النظرية موضوع موعظتي القادمة !

واعتدل الدكتور كامبل في جلسته وقال :

– الواقع إن رحلتي الليلة إلى نيوكاسل ، هي رحلة خاصة بحالة من حالات ازدواج الشخصية .

فقال السير جورج :

– أعتقد إن ازدواج الشخصية لم يعد من الحالات النادرة .. لقـد

شهدت في إحدى المحاكم مؤخراً قضية كان المتهم فيها من أصحاب الشخصيات المزدوجة

فقال الدكتور كلارك :

– لا شك أن أشهر قضية في هذا الصدد هي قضية فيليسيا بولت هل سمعت عنها ؟

فقال القس :

– أذكر أنني قرأت عنها في الصحف منذ سنوات عديدة .. منذ سبع سنوات على الأقل .

فقال الدكتور كلارك :

– لقد صارت هذه الفتاة من أشهر الشخصيات في فرنسا ، وتوافد العلماء من كل أنحاء العالم لرؤيتها .

كانت لها أربع شخصيات مختلفة ، عرفت باسم فيليسيا رقم ١ ، وفيليسيا رقم ٢ ، وفيليسيا رقم ٣ ، وفيليسيا رقم ٤ .

فقال سير جورج :

– ألم تكن في الأمر خدعة ما ؟

فرد الطبيب :

– كان هناك بعض الشك حول فيليسيا رقم ٣ وفيليسيا رقم ٤ ، ولكن ذلك لا يغير من الحقائق شيئاً .

كانت فيليسيا بولت فلاحة من مقاطعة بريتاني بفرنسا .

كانت الثالثة بين خمس شقيقات من أب سكير ، وأم متخلفة عقلياً .. وذات ليلة أسرف الأب في الشراب ، فخنق الأم ، وحكم عليه

بالأشغال الشاقة المؤبدة على ما أذكر .

وكانت فيليسيا وقتئذ في الخامسة من عمرها ، فاهتم أهل الخير بالفتيات وأرسلت فيليسيا إلى ملجأ الأيتام أنشأته سيدة انجليزية تدعى مس سلاتر .

وحاولت مس سلاتر تعليم الفتاة ، ولكن جهودها ذهبت سدى .. فقد كانت فيليسيا بطيئة الفهم ، ومتخلفة عقلياً ، ولم تتعلم مبـــادىء القراءة والكتابة إلا بصعوبة .

وأخيراً فكرت مس سلاتر في تأهيل الفتاة للخدمة في المنـــازل ، ووجدت لها عملاً لدى بعض الأسر ، ولكنها لم تمكث في أي منزل أكثر من أسبوع ، بسبب غبائها الشديد وخمولها .

وصمت الطبيب لحظة ، وأشعل لفافة تبغ .

وانتهز القس فرصة الصمت ليريح ساقيه ويلتف جيداً بمعطفه . ثم حانت منه التفاتة إلى الرجل الرابع الذي كان نائماً ، فرآه قد استيقظ ورأى في عينيه نظرة ساخرة عجيبة ..

ومضى الدكتور كلارك في قصته قال :

ـ توجد صورة التقطت لفيليسيا بولت وهي في السابعـة عشرة من عمرها ، فتاة ريفية مترهلة الجسم ، ينم مظهرها عن البلادة والغباء ، وليس ثمة ما يدل على أنها ستصبح ذات يوم أشهر فتاة في كل فرنسا .

وبعد خمسة أعوام ، أصيبت فيليسيا بولت وهي في الثانية والعشرين من عمرها بمرض عصبي ، ما أن شفيت منه حتى بدأت بعض الظواهر الغريبة تتضح بالتدريج .. والحقائق التي سأذكرها الآن ، قـد شهد على صحتها وصدقها جماعة من ابرز العلمــاء .

كانت الشخصية التي أطلق عليها اسم فيليسيا رقم ١ ، لا تختلف عن فيليسيا بولت التي عرفها الناس خلال الاثنتي والعشرين عاماً السابقة ، فهي تكتب الفرنسية بخط رديء وتتكلم ببطء ، ولا تعرف أية لغة أجنبية ، ولا تعزف على البيانو ..

أما فيليسيا رقم ٢ فإنها كانت على عكس ذلك ، تتكلم الفرنسية والايطالية بطلاقة والالمانية بدرجة متوسطة ، وتكتب بسرعة ووضوح بخط يختلف تماماً عن خط فيليسيا رقم ١ .

واكثر من ذلك أنها كانت تتحدث في السياسة والفنون كأي انسان مثقف ، وتحب الموسيقى وتعزف على البيانو ببراعة تامة .

وأما فيليسيا رقم ٣ فكانت تشبه فيليسيا رقم ٣ من نواح كثيرة ، فهي ذكية سريعة الخاطر ، ذات ثقافة عالية ولكنها تختلف عنها أخلاقياً .

والواقع أن فيليسيا رقم ٣ كانت منحرفة إلى حد الفجور ، ومنحلة أخلاقياً على الطريقة الباريسية لا على الطريقة الريفية ، فهي تعرف اللهجات التي يتكلمها اهل الطبقات الدنيا في باريس ، وتنطق بعبارات بذيئة تحمر لها الوجوه ، تسخر من الأديان ، وتهزأ بالشخصيات المرموقة ، وتتحدث عنها بأحط الألفاظ .

أما فيليسيا رقم ٤ ، فكانت مخلوقة حالمة متدينة ، نصف بلهاء .. وكان غموض شخصيتها يوحي بأن في الأمر خدعة من تدبير فيليسيا رقم ٣ امعاناً في التضليل .

وأستطيع ان أقول أنه باستثناء فيليسيا رقم ٤ ، فإن كل شخصية من

الشخصيات الثلاث الأخرى ، كانت منفصلة ومستقلة بنفسها تماماً ، ولا تعرف شيئاً عن الشخصيتين الأخريين .

وكانت فيليسيا رقم ٢ هي الشخصية الأقوى والأوضح ، وكان وجودها يستمر أحياناً اسبوعين متواصلين قبل أن تختفي لتحل محلها فيليسيا رقم ١ التي لا يستمر وجودها عادة أكثر من يوم أو يومين .

ثم تظهر بعد ذلك فيليسيا رقم ٣ ، أو رقم ٤ فتبقى بضع ساعات وتختفي ..

وكانت عملية التغيير أو التحويل ، من شخصية إلى أخرى ، تقترن بصداع شديد ، ونوم عميق ، ثم تظهر الشخصية الجديدة ، فتستأنف حياتها من حيث تركتها دون أن تذكر أي شيء عن الفترة التي غابت فيها عن الوعي ، ودون أن تشعر بمرور الوقت .

وصمت الطبيب .. فهتف القس :

– ما أعجب هذا ! ما أعجب هذا ! يبدو أننا ما زلنا لا نعرف شيئاً عن غرائب هذه الدنيا .

فقال المحامي بلهجة لها مغزاها :

– إننا نعرف على الأقل أن في الدنيا عدداً كبيراً من المحتالين الأذكياء

فقال الدكتور كلارك :

– لقد اهتم ببحث حالة فيليسيا بولت عدد من كبار المحامين ورجال القانون ، فضلاً عن العلماء والأطباء .. ومن هؤلاء المحامين الأستاذ كبلييه المشهور ، وجاءت نتيجة البحث والتحري مؤيدة لوجهة

نظر العلماء .

ثم لماذا تدهشنا حالة فيليسيا بولت ؟ السنا نجد صفارين في بيضة واحدة ، وثمرتي موز في غلاف واحد ؟ فماذا يمنع من تواجد نفسين في جسد واحد .. أو تواجد أربع أنفس ، كما حدث في حالة فيليسيا بولت ؟

فقال القس مستنكراً :

– تعني ازدواج النفس ؟

فنظر اليه الطبيب بعينيه الزرقاوين الثاقبتين وقال :

– هل هناك تعريف آخر لمثل هذه الحالة ؟

فقال سير جورج :

– من حسن الحظ أن هذه حالات نادرة وتعد من خوارق الطبيعة ، ولو قد تعددت هذه الحالات وأصبحت شيئاً عادياً لأثارت كثيراً من المتاعب في شتى المجالات .

فرد الدكتور كلارك :

– الواقع ، إن حالة فيليسيا بولت كانت حالة نادرة ، ومما يؤسف له أن العلماء لم يتوفروا على دراستها دراسة مستفيضة بسبب موت الفتاة فجأة ، وعلى غير انتظار ..

فرد المحامي ببطء :

– كان موتها في ظروف غريبة على ما أذكر !

فأومأ الطبيب برأسه علامة الايجاب وقال :

– نعم .. إنها وجدت ميتة في فراشها ذات صباح .. وكان من

الواضح انها ماتت مخنوقة ، وقد كانت دهشة الجميع لا حد لها حين ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها خنقت نفسها بيديها ، فالعلامات التي وجدت على عنقها ، كانت علامات أصابعها ، والانتحار بهذه الطريقة ، وإن يكن ممكناً عملياً ، إلا أنه يتطلب قوة عضلية هائلة ، وقوة إرادة خارقة تفوق طاقة البشر .. أما ماذا دفع الفتاة إلى الانتحار فذلك ما لا يعرفه أحد ..

من المحقق أنها كانت مريضة عقليـاً . ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً .

إنها ماتت منتحرة بتلك الطريقة الغريبة .. وبموتها أسدل الستار نهائياً على سر فيليسيا بولت قبل أن يتمكن العلماء والبـاحثون من إماطة اللثام عنه .

وما أن فرغ الدكتور كلارك من سرد القصة ، حتى سمع الرجال الثلاثة ضحكة قطعت حبل الصمت الذي ران عليهم .. فنظروا حولهم ، فإذا الضاحك هو الرجل الرابع الذي يقبع في ركن المقعد .

- ٢ -

كانوا قد أغفلوه تماماً ، وتناسوا أنه يجلس معهم .. فلما تحولت اليه أنظارهم ، ضحك مرة أخرى وقال بلغة انجليزية سليمة تشوبها لكنة أجنبية :

– أرجو المعذرة أيها السادة !

واعتدل في جلسته ، ورفع رأسه ، فرأوا وجهه الشاحب وشاربه الأسود الرفيع .

قال وهو يخفي قامته بشيء من السخرية :

– معذرة يا سادة .. ولكن هل تعتقدون أن العلم يقف عند حد ؟ وأنه قال كلمته الأخيرة في أي مجال ؟

فسأله الدكتور كلارك في أدب :

– هل تعرف شيئاً عن الحالة التي كنا نتحدث عنها ؟

– عن الحالة ؟ كلا .. ولكني كنت أعرف الفتاة نفسها !

– فيليسيا بولت ؟

– نعم .. فيليسيا بولت ! وأنطوانيت رافييل أيضاً .. ألم تسمعوا عن أنطوانيت رافييل ؟ إن قصة كل منهما تكمل قصة الأخرى ..

وصدقوني إذا قلت لكم أنكم لا تعرفون شيئاً عن فيليسيا بولت .. ما دمتم لا تعرفون قصة انطوانيت رافييل .

ثم نظر إلى ساعته وقال :

ـ لا يزال هناك نصف ساعة قبل الوصول إلى المحطة التالية ، وذلك يكفي لسرد القصة إذا شئتم أن تسمعوها .

فرد الطبيب في هدوء :

ـ أرجو ان ترويها لنا ..

وقال القس :

ـ سيسرنا كثيراً أن نسمعها !

واعتدل سير جورج دورانت في مقعده وأرهف أذنيه ..

قال الرجل :

ـ أنا أدعى راوول لونادرو ، وقد سمعتكم تتحدثون عن مس سلاتر ، تلك السيدة الانجليزية الكريمة التي نذرت نفسها ومالها لعمل الخير ، وأنشأت ملجأ لايواء الصغار .. انني ولدت في (بريتاني) في نفس القرية التي أنشىء فيها الملجأ ، ولما قتل أبواي في حادث قطار ، خفت مس سلاتر للأخذ بيدي وانقاذي من التشرد والضياع .

وكان بالملجأ نحو عشرين نزيلاً .. من الصبيان والبنات .. ومن بينهم فيليسيا بولت وأنطوانيت رافييل .

وأكبر الظن أيها السادة ، انكم لن تفهموا شيئاً عن الفتاتين ما لم أصف لكم انطوانيت رافييل وصفاً دقيقاً يوضح شخصيتها .

كانت أمها امرأة من بنات الهوى ، ماتت بالسل الرئوي بعد أن

هجرها عشيقها ..

وقد عملت الأم في وقت ما راقصة ، فنشأت انطوانيت بدورها تحب الرقص .

وحين رأيت أنطوانيت لأول مرة ، كانت فتاة طويلة لها عينان ساحرتان ، فيهما سخرية وفيهما وعد .. فتاة صغيرة كلها نار وحياة ، وقد استعبدتني من لقاه .. وكانت مطالبها أمراً .. (افعل ذلك من أجلي يا راوول) فأطيع وأفعل ..

كنت أعبدها عبادة ، وكانت هي تعلم ذلك

كنا نذهب إلى الشاطىء ، ومعنا فيليسيا ، وهناك تخلع أنطوانيت حذاءها وترقص على الرمـــال ، حتى إذا تعبت من الرقص وانقطعت أنفاسها ، جلست على الرمل وراحت تحدثنـا عما تريد أن تفعله في المستقبل .

كانت تقول :

– سأكون راقصة مشهورة ، وسيكون لدي مئات ، بل ألوف من الجوارب الحريرية .. وسأقيم في شقة جميلة .. وسيكون عشاقي جميعـا من الشباب الذين يتسمون بالأناقة والوسامة والثراء .. وحـين ارقص ، سوف تأتي باريس كلها لتراني .. وسيهتف النظارة باسمي ، ويصفقون لي ، ويستعيدونني ..

ولكني لن أرقص في الشتاء ، وإنما أذهب إلى إحدى مدن الجنوب ، حيث الشمس والدفء والفيلات الجميلة وأشجار البرتقـال .. فـأقيم في إحدى الفيلات ، وأتمدد على وسائد من حرير تحت أشعة الشمس والنجوم

البرتقال ، أما أنت يا راوول فإنني لن أنساك أبداً مهما بلغت من الثراء والشهرة .. سوف أرعاك وأساعدك على دعم مستقبلك .. أما فيليسيا ، فإنها ستكون وصيفتي ، ولكن لا .. إن لها يدين غليظتين خشنتين .. أنظر اليهما ؟

وتثور ثائرة فيليسيا ، وتمضي انطوانيت في مماكستها ، فتقول :

– ان فيليسيا سيدة أنيقة مرهفة الحس والذوق ، إنها أميرة متنكرة ها .. ها !

فتعبس فيليسيا وتقول في غيظ :

– كان أبي متزوجاً من أمي . وهذا ما لا تستطيعين أنت أن تقوليه ..

– نعم .. وأبوك قتل أمك .. جميل حقاً أن تكون الفتاة ابنة قاتل !

– وأنت . إن أباك قد هجر أمك وتركها تموت جوعاً .

– آه .. هذا صحيح ، مسكينة أمي ! يجب أن يحافظ الانسان على صحته وقوته ، لأنه بدونهما لا يساوي شيئاً

فتقول فيليسيا في خيلاء :

– انني قوية كالحصان !

وكانت قوية حقاً ، كانت لها قوة اثنتين على الأقل من بنات الملجأ ، ولم تمرض قط !

ولكنها كانت غبية ، بل وأشد غباء من البغل ، ولطالما تساءلت لماذا كانت دائماً تلازم أنطوانيت وتسير في ركابها ؟ والجواب فيما اعتقد هو

أنها كانت مفتونة بهـا ..

ولكن كان يخيل اليّ أحياناً أنها تمقت أنطوانيت وتحقد عليهـا ، ذلك أن أنطوانيت كانت تسخر منها وتقسو عليهـــا ، وتصفها بالبلادة والغباء على مسمع من الآخرين ..

وكان الغضب يستبد بفيليسيا فيمتقع لونها وترتجف شفتاها ، وكان يخيل اليّ أحياناً أنهـا ستنقض عليها ، وتنشب أظافرهــا في عنقها وتزهق روحها .

لم يكن لها من الذكاء وسرعة البديهة ما يسعفهـــا في الرد على أنطوانيت ، ومقابلة مضايقاتها بمثلها .. ولكنها عرفت مع الوقت رداً لا يخطيء الهدف أبداً ، هو المبالاة بصحتها وقوتها .

كانت تعلم أن انطوانيت تغار منها وتغبطها لقوة بنيتهـا ، فعرفت بالغريزة كيف تضرب غريمتها في موطن ضعفها ..

وذات يوم جاءتني أنطوانيت وهي فرحة مسرورة وقالت لي :

– راوول .. إننا سنضحك اليوم كثيراً من فيليسيا الغبية !

– كيف ؟

– تعال وراء الحظيرة وسأخبرك !

كانت قد ظفرت بكتاب يتناول موضوعات معقدة تدق عليّ فهمها ، ومنها موضوع التنويم المغناطيسي .. ويبدو أنها قامت بتجربة عشوائية على ضوء ما قرأته

قالت :

– يقول الكتاب « شيء لامع » وقد وجدت هذا الشيء اللامع ..

كان كرة من النحاس ، في أحد اعمدة فراشي ، فـانتزعتها ، وربطتهـا بخيط ، وقلت لفيليسيا ليلة أمس « أنظري إلى هذه الكرة ، وحدقي النظر فيها ، ولا تحولي عينيك عنها » ، وأخذت أحرك الكرة أمامها ، حركة دائرية منتظمة ، وذعرت حين رأيت عيني فيليسيا وهما تتابعان الكرة ، كانت فيهما نظرة غريبة ، غريبة جداً ..

وقلت لفيليسيا : « افعلي كما أقول لك يا فيليسيا » ، فـأجابت « سأفعل كما تقولين يا أنطوانيت » .. وعندئذ قلت لها : « عليك أن تأتي بشمعة وتذهبي بها غداً إلى فناء الملجأ ، ومتى دقت الساعة الثانية عشرة تماماً ، فيجب ان تشرعي في التهام الشمعة ، وإذا سألك سائل فقولي أنها ألذ حلوى أكلتها » .. فتصور يا راوول كيف سنضحك اليوم حين نراها تلتهم الشمعة .

فدهشت وقلت لها :

ـ لكنها لن تفعل ذلك !

ـ ولكن الكتاب يقول ذلك .. فإذا كان الكتاب صادقاً فسوف نقضي وقتاً ممتعاً .

وخيل اليّ ايضاً ان الفكرة مضحكة حقاً ، فهمسنا بها إلى فتيان الملجأ وفتياته ، واحتشد الجميع في الفناء .. وفي الساعة الثانية عشرة تماماً ، اقبلت فيليسيا وفي يدها شمعة ، ولشد ما دهشنا وضحكنا حين رأيناها تأكل الشمعة وتستمتع بمضغها .

ضحكنا حتى اغرورقت عيوننا بالدموع ، ولكن فيليسيا لم تضحك وكلما سألها سائل :

أتجدين متعة فيما تأكلين يا فيليسيا ؟

أجابت :

– انها ألذ حلوى أكلتها طول حياتي .

ويبدو ان ضحكنا وصياحنا ايقظ الفتاة المسكينة ، فخفقت أهدابها بسرعة ، كمن يخرج فجأة من الظلام إلى النور ، ونظرت الينا ثم الى الشمعة وسألت في ذهول :

– ماذا أفعل هنا ؟

فقلنا لها :

– انك تأكلين الشمعة !

وصاحت أنطوانيت وهي تضحك ساخرة :

– جعلناك تأكلينها . .

فوقفت فيليسيا مذهولة لحظة ، ثم اقتربت من انطوانيت ببطء ، وقالت وهي تحدق في وجهها :

– أنت فعلت بي هذا ؟

أنت جعلتهم يسخرون مني ؟ هذه المزحة ستكلفك حياتك يا انطوانيت لأنني سأقتلك !

وعلى الرغم من أنها كانت تتكلم بهدوء شديد ، فقد دب الذعر في قلب انطوانيت ، وفرت من أمامها وتوارت خلفي وهي تصيح :

– أنقذني يا راوول . إنني خائفة منها ، لقد كانت مزحة بريئة يا فيليسيا . أؤكد لك أنها كانت مزحة بريئة .

فقالت فيليسيا :

- أنا لا أحب هذا النوع من المزاح .. هل فهمت ؟ إني أكرهك يا أنطوانيت .. أكرهك .

وانفجرت الدموع من عينيها فجأة ، وانطلقت بعيداً وهي تبكي .

وأعتقد أن هذه التجربة أخافت أنطوانيت وأوقعت الذعر في قلبها .. لأنها لم تتقدم عليها مرة أخرى ، ولكن سيطرتها على فيليسيا تصاعدت بعد ذلك وازدادت قوة

وأنا واثق الآن من أن فيليسيا كانت دائماً تكرهها ، ولكنها مع ذلك لم تكن تطيق الابتعاد عنها ، وظلت تتبعها كالكلب الأمين ..

وحدث بعد ذلك أيها السادة أن أوجدت لي مس سلاتر عملاً ، فانقطعت صلتي بالملجأ .. وأصبحت لا أذهب إليه إلا في بعض أيام العطلة ..

ولم تتحقق رغبة أنطوانيت في أن تصبح راقصة .. ولكن صوتها تطور مع تقدمها في السن ، وأصبح يتميز بالقوة والعذوبة ، فوافقت مس سلاتر على أن تتلقى الفتاة دروساً في الغناء .

ولم تكن أنطوانيت تعرف الكسل والخمول ، فأقبلت على العمل بحماسة ونشاط .. ولم تمنح نفسها فرصة الراحة ، واضطرت مس سلاتر في كثير من الأحيان أن تمنعها من الاسترسال في نشاطها ، وقالت لي ذات يوم :

- إنني مشفقة على هذه الفتاة ، وأنا أعرف شفقتك بها ، فحاول أن تقنعها بعدم إجهاد نفسها ، إنها تعمل بهمة جافة تثير قلقي .

واقتضت ظروف عملي أن أرحل عن فرنسا ، وتلقيت بعد رحيلي

رسالة أو رسالتين من انطوانيت ، ثم انقطعت أخبارها عني تمـــاماً .. وقضيت خارج فرنسا نحو خمسة أعوام ، ثم عدت إلى باريس ..

وذات يوم وقع نظري مصادفة على أحد الملصقـات ، وكان يتضمن اعلاناً عن المطربة انطوانيت رافييل ، وصورة لها .

عرفتها على الفور ..

وفي تلك الليلة ، ذهبت إلى المسرح الذي تعمل فيه ، وسمعتها تغني بالفرنسية والايطالية .

كانت رائعة على خشبة المسرح .

ثم ذهبت اليها في غرفتها في المسرح ، فاستقبلتني في الحال ، ورحبت بي وصاحت وهي تبسط يديها اليّ :

ـ أهذا انت يا راوول ؟ أين كنت طوال هـذه السنين ؟

فهممت بأن احدثها عن نفسي ، ولكنها لم تكن على استعداد لأن تسمع ، كانت تريد أن تتحدث .. عن نفسها ..

قالت :

ـ أنظر يا راوول .. ألا ترى انني كدت ان أصل ، وان كل أحلامي توشك أن تتحقق .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة الفوز ، وهي تشير إلى باقـات الزهر التي تملأ جوانب الغرفة ..

قلت لها :

ـ يحق الآن لمس سلار الطيبة القلب أن تعتز بنجاحك وتفخر ؟

ـ آه .. تعني تلك العجوز ؟ لقد أرادت ن تلحقني بمعهد الموسيقى

(الكونسرفاتوار) كي اتعلم الغناء الكلاسيكي ، ولكنني فنانة ، ومكاني هنا على مسرح المنوعات حيث استطيع التعبير عن نفسي .

ودخل الغرفة في تلك اللحظة رجل وسيم ، في الحلقة الرابعة من عمره يدل مظهره على أنه شخصية هامة ، وقد فهمت من سلوكه على الفور أنه صديق انطوانيت أو عشيقها ..

ولاحظت انطوانيت انه ينظر الي من ركن عينه ، فقالت :

– هذا صديقي منذ عهد الطفولة ، وقد مر بباريس ورأى صورتي على الملصقات فجاء لتحيتي .

واتسم سلوك الرجل بعد ذلك باللطف والأدب ، وأخرج من جيبه أمامي سواراً ثميناً مرصعاً باللؤلؤ ووضعه في يد انطوانيت :

وحين هممت بالانصراف ، نظرت إلي انطوانيت نظرة فوز قائلة :

– إنني وصلت .. أليس كذلك ؟ إن الدنيا كلها في متناول يدي ..

ولكنني حينما غادرت الغرفة سمعتها تسعل سعلة حادة جافة !

كنت أعرف معنى هذه السعلة وما تنطوي عليه ، إنها الارث الذي آل اليها من امها التي ماتت بالسل الرئوي .

ورأيت انطوانيت مرة اخرى بعد عامين ..

كانت قد عادت إلى ملجأ مس سلاتر بعد ان افل نجمها وفقدت عملها ، واستشرى مرضها ، ووصلى إلى المرحلة التي لا يستطيع الأطباء حيالها شيئاً ..

ان صورتها كما رأيتها في ذلك الوقت قد انطبعت في ذهني ولن

أنساها أبداً ..

كانت قد عزلت في كوخ صغير بالحديقة تقضي فيه الليل والنهار ، وكانت خداها غائرتين ملتهبتين ، وعيناها تتألقان كعيني المحموم .

ولما وقع بصرها علي ، حيتني بابتسامة حزينة وقالت بصوت ينم عن اليأس :

ـ كان كرماً منك أن تأتي لزيارتي يا راوول ، هل تعلم ماذا يقولون ؟ يقولون اني لن ابرأ من مرضي .. إنهم يلاطفونني ويواسونني ، ويقولون ذلك من وراء ظهري !

ولكنهم كاذبون يا راوول .. إنهم يكذبون ..

إذ كيف اموت والحياة امامي جميلة وفسيحة ؟ ان المهم هو إرادة الحياة .. جميع الأطباء يقولون ذلك ، وانا اريد ان اعيش ، ولست من اولئك الضعفاء الذين يرضخون ويستسلمون ، بل على العكس .. اني أشعر هذه الأيام بأني اوفر صحة وقوة ، وبأني اسير نحو الشفاء بخطى حثيثة !

وتأكيداً لكلامها ، رفعت رأسها وحاولت ان تنهض معتمدة على مرفقيها .. ولكنها ما لبثت ان استلقت على الفراش ، وتملكتها نوبة سعال زلزلت جسدها النحيل ..

وبعد قليل قالت وهي تلهث :

ـ هذه السعلة لا تهمني ، ونزيف الرئة لا يخيفني ، سوف اعيش وادهش الأطباء .. المهم هو ارادة الحياة ، يا راوول .. وانا قوية الارادة .. ولذلك سأعيش !

كان حديثها ومنظرها يثيران الشفقة والرثاء ..

ودخلت فيليسيا بولت في تلك اللحظة وبين يديها صحفة عليها قدح مليء باللبن الدافيء .. فقدمت القدح إلى أنطوانيت ، واخذت تراقبهـا وهي تحتسي اللبن ، وفي عينيها نظرة غريبة لم أستطع فهمها .

ورأت انطوانيت تلك النظرة ، والقت بالقـــدح على الأرض ، في غضب فتحطم .. وصاحت :

– أرأيت ؟ إنها تنظر الي دائماً هكذا .. إنها سعيدة لأنني سأموت ، ولأنها صحيحة الجسم وقوية كالثور ..

انظر اليها .. إنها لم تمرض يوماً واحداً ..

ولكن ماذا أفادت من سلامة بنيتها وقوة جسدها ؟

لا شيء ..

إنها مجرد جيفة ضخمة متحركة ..

وانحنت فيليسيا والتقطت بقايا القدح المحطم ، وقالت في هدوء :

– لا يهمني شيء مما تقولين ، انني فتاة محترمة ، أما انت فإنك ستتعذبين في نار جهنم ، وتصطلين في الجحيم عما قريب

فردت انطوانيت :

– إنك تكرهينني .. كنت دائماً تكرهينني .. ولكني أستطيع أن أمـــلي عليك إرادتي في كل وقت ، استطيع أن أجعلك تفعلين كل مـا أريد . ولو طلبت اليك الآن أن تركعي على ركبتيك أمامي فستفعلين .

فقالت فيليسيا بشيء من القلق :

ـ أنت معتوهة ..

ـ نعم ، إنك ستطيعينني .. وستعملين على ارضائي .. اركعي على ركبتيك يا فيليسيا .. إني آمرك بأن تركعي على ركبتيك .

ولا أعلم ، هل هو صوت أنطوانيت وما فيه من ضراعة وإيحاء ، أو أن هناك عاملا آخر اجهله .. كل ما أعلمه أن فيليسيا أطاعت وخرت على ركبتيها راكعة وبسطت ساعديها ، وخلا وجهها من كل تعبير إلا البلادة .

ودفعت أنطوانيت برأسها إلى الوراء ، واستغرقت في الضحك .

وهتفت :

ـ أنظر اليها .. وإلى وجهها المتبلد ، إن منظرها يثير الضحك ، شكراً لك يا فيليسيا . في استطاعتك الآن أن تنهضي .. ولا حاجة بك لأن تنظري الي شذراً بعد الآن . فأنا سيدتك ، وعليك أن تفعلي ما آمرك به .

قالت ذلك واستلقت على فراشها وقد خارت قواها .

أما فيليسيا فإنها حملت الصحفة وسارت نحو باب الكوخ ، ولكنها قبل أن تنصرف ، نظرت من فوق كتفها إلى انطوانيت ورأيت في عينيها حقداً ادهشني .

لم اكن هناك حين ماتت أنطوانيت ، ولكن يبدو أن المعركة كانت رهيبة .. وأن أنطوانيت كانت متشبثة بالحياة ، فقاومت الموت مقاومة عنيفة .. وهي تصيح بين حين وآخر :

ـ لا أريد ان أموت ، هل سمعتم .. لا أريد أن اموت .

حدثتني مس سلاتر عن كل ذلك حين قابلتها بعد ستة اشهر .

قالت :

– مسكين يا راوول ، انك تحبها .. اليس كذلك ؟

– لقد أحببتها دائماً .. ولكن مـــاذا كان بوسعي ان افعل من أجلها ؟ دعينا لا نتحدث عن ذلك ، فإنها ماتت وهي في ريعان شبابها وكلها ظمأ إلى الحياة ..

فنظرت الي باشفاق ، واخذت تتحدث عن أشياء أخرى .

وفهمت منها أنها تشعر بقلق شديد على فيليسيا ، وأن هذه الفتـاة قد أصيبت اخيراً بنوع من الانهيار العصبي ، وان اخلاقها وطباعها قد طرأ عليها بعد الانهيار تغيير جذري .

وقالت مس سلاتر بعد تردد قصير :

– هل تعلم انها بدأت تتعلم العزف على البيانو ؟

ولم أكن أعلم ذلك ، فدهشت وكدت أقول أنها مهما حـاولت .. فلن تستطيع مدى حياتهـــا ان تميز إحدى العلامـات الموسيقية عن غيرهـا ..

ولكن مس سلاتر استطردت قائلة :

– يقول أساتذتها أنها فتاة موهوبة ، وهذا مـا يحيرني ، فقد كنت أعتبرها دائماً فتاة غبية ، ومتخلفة عقلياً !

– أعلم ذلك ؟

– ولكنها تغيرت الآن تغيراً تاماً لا أستطيع تعليله .

وبعد بضع دقائق دخلت قـاعة الدرس ، ووجدت فيليسيا تعزف

نفس الأغنية التي سمعت أنطوانيت تغنيها على المسرح في باريس !

وكانت دهشتي لا حد لها .

وشعرت فيليسيا بعد ذلك بأنني أراقبها فكفت عن العزف فجأة ، وتحولت الي وفي عينيها نظرة ذكية ساخرة .

وخيل الي في تلك اللحظة .. ولكن لا أيها السادة .. لن اقول لكم ماذا خيل الي ..

وهتفت فيليسيا :

– أهذا انت يا مسيو راوول ؟

ولا استطيع ان أصف لكم الطريقة التي نطقت بهـا هذه العبارة .. كانت دائماً منذ بلغنا سن المراهقة ، تدعوني (مسيو) راوول .. ولكنها في هذه المرة نطقت كلمة (مسيو) بطريقة مختلفة تماماً .

سألتهـا :

– إنك تغيرت كثيراً يا فيليسيا !

– أتعني ذلك حقـاً يا راوول ؟ واسمح لي أن أدعوك راوول .. ألم نكن نلعب معاً ونحن صغار ؟ كانت الحياة كلهـــا ضحك ومرح .. دعنا نتحـدث عن انطوانيت المسكينة .. ترى هل هي الآن في الجنة أو في جهنم ..

واخذت تترنم بأغنية بصوت خافت ..

فذهلت وصحت بها :

– أتتكلمين الايطالية يا فيليسيا ؟

– ولم لا ؟ إنني لست من الغباء كما جعلتكم تتوهمونني ..

وضحكت ، فقلت :

– الحق اني لا افهم ؟

– سأوضح لك الأمر ، انني ممثلة بارعة ، لا احد يعلم ذلك ، ولكنني في الواقع استطيع اداء ادوار كثيرة ، وببراعة عظيمة .

وضحكت مرة اخرى ، وغادرت الغرفة قبل أن اتمكن من استبقائها .

ورأيتها مرة اخرى قبل رحيلي ، كانت نائمة في مقعد كبير ، وتغط في نومها بصوت مسموع . فوقفت أراقبها بمزيج من الدهشة والاشمئزاز وفجأة استيقظت من نومها وتلاقت عيناها الباهتتان الخـــاملتان بعيني ورددت قائلة :

– مسيو راوول ؟

– نعم يا فيليسيا . اني راحل الآن ، هل لك أن تسمعيني إحدى معزوفاتك على البيانو قبل أن أرحل ؟

– أنا ؟ أعزف على البيانو ؟ هل تسخر مني يا مسيو راوول ؟

– ألا تذكرين أنك عزفت صباح اليوم ؟

فهزت رأسها ببطء قائلة :

– انا أعزف ؟ كيف تستطيع فتاة مسكينة مثلي أن تعزف ؟

وتريثت لحظة كأنما لتفكر ، ثم اومأت الي ان أدنو منها ففعلت . قالت :

– ثمة أشياء غريبة تحدث في هذا المنزل يا مسيو راوول ، إنهم يقومون بألاعيب صبيانية ، ويخفون الأشياء ، ويعبثون بعقارب الساعة ، ولكنني أعرف من الذي يفعل ذلك !

فسألتها في دهشة :

– من ؟

– أنطوانيت .. تلك الفتاة الشريرة ، كانت تعذبني وهي حية ، وهي الآن تخرج من قبرها وتعود لكي تعذبني !

فنظرت اليها ، ورأيت الذعر والهلع في عينيها .

– إنها فتاة شريرة ، لا تتورع عن انتزاع اللقمة من فمك ، والثوب من ظهرك ، والروح من جسدك .

ثم أمسكت بي فجأة صائحة :

– أنا خائفة .. خائفة ، إني أسمع صوتها ، إنه يدوي لا في أذني .. وإنما هنا في رأسي !

ودقت بيدها على جبينها واستطردت قائلة :

– إنها تريد أن تطيح بعقلي ، فماذا سيكون مصيري بعد ذلك ؟

وكانت تتكلم بصوت مرتفع ، وفي عينيها نظرة كنظرة حيوان في مـأزق .

ثم فجأة ابتسمت ابتسامة حلوة ، فيها دهاء وشيء آخر أرسل في جسدي رعدة :

– وإذا لزم الأمر يا مسيو راوول ، فإن لي يدين قويتين جداً ، بـل وأقوى مما تتصور ..

ولم اكن قد نظرت إلى يديها بصفة خاصة قبل تلك اللحظة ، فلـما نظرت اليهما ، لم أتمالك من الارتجاف .

كانت أصابعها غليظة ، وقوية جداً ..

لا شك أن اباها خنق أمها بمثل هاتين اليدين .

وهذه آخر مرة رأيت فيهـــا فيليسيا .. فقد رحلت بعد ذلك إلى أمريكا اللاتينية ، وعدت من رحلتي بعد عامين .

وقد قرأت في الصحف عن حياتهـا وموتها الفجائي ، ولكنني عرفت التفصيلات من حديثكم عنها الليلة .. وسمعت ما ذكرتموه عن فيليسيا رقم ٣ وفيليسيا رقم ٤ ، لا شك انها ممثلة قديرة !

وتمهل القطار في سيره ، فاعتدل الرجل الرابع ، وجمع معطفه حول جسده !

وقال المحامي وهو ينحني إلى الأمام :

- ما قولكم في هذه القصة ؟ وما تفسيركم لشخصية فيليسيا المتعـددة الجوانب ؟

فقال القس :

- إني لا أستطيع ان أصدق أن !

ولم يتم عبارته ..

ولم يتكلم الطبيب ، وإنما راح يتفرس في وجه راوول لوتاردو .

وقال الرجل الفرنسي مردداً عبارة فيليسيا :

- لا تتورع عن انتزاع اللقمـــة من فمك ، والثوب عن ظهرك .. والروح من جسدك .

ثم نهض واستطرد قائلاً :

- قلت لكم أيهـا السادة ، إن قصة فيليسيا بولت هي قصة انطوانيت رافييل ، انكم لم تعرفوها أيها السادة .. ولكنني عرفتها ، وعرفت كم كانت

لحب الحياة .

وتأهب للانصراف ، ولكنه توقف فجأة وقـــال للقس وهو يدق على صدره بلطف :

– لقد قال صديقك الطبيب منذ لحظات ، إن هذا الجسد هو مجرد مسكن ، فاخبرني . ماذا تفعل إذا وجـدت لصاً في مسكنك ؟ تطلق عليه النار .. أليس كذلك ؟

فصاح القس :

– كلا .. كلا .. أعني اننا لا نفعل ذلك في هذه البلاد .

ولكن الرجل الرابع لم يسمع هذا الجواب ، لأنه كان قد غادر المركبة .

وبقي القس والمحامي والطبيب وحدهم .

سر الاناء الازرق

- ١ -

وقف جـاك هارتنجتون بجوار الكرة ، ونظر إلى الساحة الخضراء المترامية أمامه . نظرة من يريد أن يقيس ابعادها ثم تنـاول مضرب الجولف ، واهوى به على بعض الأعشاب المحيطة بالكرة فأطاح بها ، ثم تأهب لضرب الكرة ..

كان (الجولف) هو هوايته الوحيدة ، وكان كل أمله في الحياة أن يتفوق في هذه اللعبة وأن يصبح من محترفيها ..

وكان أبغض شيء اليه ، وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، وهـذا أمله ، أن يجد نفسه مضطراً إلى كسب رزقه بالعمـل خمسة أيام ونصف كل أسبوع في مكتب كالسجن في وسط المدينة .. وعدم ممارسة اللعبـة التي يعدها عمله الحقيقي ومناط حياته ومستقبله ، إلا عصر السبت ويوم الأحد من كل أسبوع . ولهذا استأجر غرفـة في فندق صغير بالقرب من ساحة ستورتون .. لكي يتمرن على لعب الجولف ساعـة على الأقل كل

صباح ، قبل أن يستقل قطار الساعة الثامنة إلى لندن .

شيء واحد كان يفسد هذا البرنامج في بعض الأحيان ، هو قطرات الندى التي تبلل الأرض والعشب وتجعل الكرة تنزلق في غير الاتجاه المطلوب .. ولكنه لم يستطع شيئاً حيال الندى ..

ضم قدميه وامسك بالمضرب جيداً وقال لنفسه مردداً احدى القواعد الأساسية في اللعبة :

- انظر إلى الكرة جيداً ولا ترفع رأسك إلا بعد ان تضربها .

ورفع المضرب .. ثم توقف عن الحركة وجمد في مكانه ..
فقد سمع صرخة ثاقبة مزقت سكون الصباح المبكر .. وصوتاً يصيح :

- سأقتل .. النجدة ، النجدة !

كان صوت امرأة ، وقد انتهى بآهة عميقة ثم صمت ..

والقى جاك المضرب ، وانطلق يعدو صوب المكان الذي خيل اليه أن الصوت قد انبعث منه .

كان واثقاً من ان الاستغاثة قد صدرت من مكان قريب .

ولم تكن هناك سوى بضعة بيوت متفرقة تقع بين ساحة الجولف والغابة ، وكان اقرب هذه البيوت اليه ، كوخ صغير طالما لفت نظره ، بطرازه القديم وحسن تنسيقه . وجمال موقعه وسط حديقة حافلة بالزهور فانطلق يعدو نحو هذا الكوخ .

وكان هناك نشز من الأرض مغطى بأشجار الموسج يحجب جانباً

من الكوخ ، فدار جاك حوله ، وما هي إلا لحظة حتى وجد نفسه أمام الباب .

ورأى فتاة في الحديقة ، وتبادر إلى ذهنه لأول وهلة انها صاحبة الاستغاثة ، ولكنه سرعان ما نبذ هذه الفكرة ..

فقد رأى في يد الفتاة سلة مليئة إلى نصفها بالأعشاب ، فأدرك انها تقوم بتطهير الحديقة من الأعشاب الطفيلية .

ورمقته الصبية بنظرة يمتزج فيها الانزعاج بالدهشة ، ولاحظ جاك أن عينيها أقرب إلى لون البنفسج منها إلى زرقة السماء .

سألها :

- معذرة يا آنسة .. ولكن هل سمعت صيحة استغاثة منذ لحظة ؟

- أنا ؟ كلا ..

وكانت دهشتها حقيقية إلى حد جعله يشعر بالارتباك ، وكان صوتها رقيقاً عذباً ، وفي لهجتها لكنة أجنبية .

قال :

- لا بد أنك سمعتها ، فقد صدرت من مكان في هذه المنطقة .

فحملقت في وجهه لحظة ، ثم ردت في هدوء :

- أنا لم أسمع شيئاً على الاطلاق

يستحيل أن لا تكون قد سمعت صرخة الاستغاثة !

ولكن هذا الهدوء ، وهذا الثبات .. انهما لا يدعان مجالاً للشك في صدقها .

قال :

– إن الاستغاثة صدرت من مكان قريب من هنا .

فسألته :

– ماذا كانت ألفاظها :

– سأقتل . النجدة ، النجدة ؟

ثم أردفت قائلة :

– لا بد أنها دعابة يا سيدي .. إذ من الذي يمكن أن يقتل هنا ..

فنظر الشاب في حوله في ارتبـــاك ، كما لو كان يبحث بين ممرات الحديقة عن جثة مسجاة .

ولكنه كان واثقاً من أن الاستغاثة التي سمعهـــا حقيقة وليست من صنع الخيال .

وحول عينيه إلى نوافذ الكوخ .

كل شيء كان يبدو هادئاً وطبيعياً .

قالت الصبية :

– هل تريد أن تفتش الكوخ ؟

وكان في صوتها في هذه المرة شيء من التهكم ، فازداد ارتباك جاك هارتنجتون وقال :

– أنا آسف . لا بد أن تكون الاستغاثة قد صدرت من مكان آخر بعيد ، ربما من الغابة ..

ورفع قلنسوته محيياً ، وقفل راجعاً من حيث أتى !

ولما ابتعد قليلاً ، نظر من فوق كتفه ، فرأى الفتاة تعود إلى عملها

وتستأنف تطهير الحديقة من الأعشاب ، وخطر له أن يبحث في اتجاه آخر . فتوغل في الغابة ، ولكنه لم يجد أي أثر يدل على حدوث أي شيء غير عادي .

ومع ذلك فقد ظل على يقينه من أنه سمع الاستغاثة .

لم تكن هناك قوة على الأرض تستطيع أن تقنعه بغير ذلك ؟

وفي النهاية ، عدل عن البحث والتفكير في الأمر ، وعاد أدراجه إلى غرفته في الفندق .. حيث تناول افطاره ، ثم لحق بالقطار في آخر لحظة كالعادة .

* * *

لم يكد يستقر على مقعده في العربة ، حتى بدأ يشعر بوخز الضمير ..

ألم يكن من واجبه أن يتصل بالبوليس فوراً ، ويحدثهم عن الاستغاثة التي سمعها ؟

إنه لم يفعل ذلك بسبب الفتاة ذات العينين البنفسجيتين .. فهي لم تصدقه ، ولعلها ظنت أنه اخترع هذه القصة ليجاذبها أطراف الحديث ويغازلها .. ومن يدري .. فقد يظن رجال البوليس ذلك أيضاً .

ولكن .. هل هو واثق تماماً من أنه سمع صيحة استغاثة ؟

وعندما وصل به القطار إلى لندن ، كانت ثقته في صدق حواسه

قد بدأت تتزعزع . فراح يتساءل ، ألا يمكن أن يكون مـا سمعه هو صرخة طير بعيد ، صور له الوهم أنها صيحة امرأة ؟

إن ما سمعه كان صوت امرأة ، ما في ذلك شك

وتذكر أنه نظر إلى ساعته قبل أن يسمع صيحة الاستغاثة مباشرة وأن الساعة وقتئذ كانت السابعة وعشرين دقيقة

تلك الحقيقة قد تفيد رجال البوليس ، إذا ما اكتشفوا الجريمة .

وعندما عاد إلى غرفته في المساء ، تصفح جرائد المساء باهتمام وقلق ، على أمل أن يجد بها إشارة إلى جريمة ارتكبت ، ولكنه لم يجد شيئاً ، ولم يدر هل يجب أن يشعر بالارتياح أم بخيبة الأمل .

* * *

هطلت الأمطار خلال الليل ، وبللت العشب ، فـاضطر جاك إلى العدول عن ممارسة هوايته في صباح اليوم التالي ، ولم يغـــادر فراشه إلا في آخر لحظة .. فالتهم طعـام الافطار بسرعة ، واستقل القطار إلى لندن .

ومـا أن تحرك القطار ، حتى شرع في تصفح الجرائد باهتمام بالغ .. ولكنه لم يجد أية إشارة إلى الجريمة .

وكذلك لم تشر اليها صحف المساء ..

قال لنفسه :

– هذا غريب .. لا بد إذاً أن بعض الصبية كانوا يلعبون في

الغـابة .

ونهض مبكراً في صباح اليوم التالي ، ومر بالكوخ ، ونظر اليه من ركن عينه ، فرأى الصبية تقتلع الأعشاب من الحديقة ، كما كانت تفعل في اليوم الأسبق ، ورجح أن تكون هذه عادتها كل صباح .

ورفع يـده بالمضرب ، وأهوى بهـا على الكرة ، وانطلقت الكرة في الاتجـاه الذي أراده .. وأسرع خلفها وهو يأمل أن تكون الصبية قد أبصرت به !

ثم نظر الى ساعته .. وتمتم قائلاً :

– الساعة السابعة وعشرين دقيقة تماماً .. ترى هل ؟

وتجمدت الكلمات على شفتيه ، فقد دوت من ورائه في تلك اللحظة نفس الصرخة التي افزعته قبل يومين ، صرخة الاستغاثة من امرأة في مأزق رهيب ، وبنفس الألفاظ ..

– سأقتل .. النجدة ، النجدة !

فدار على عقبيه ، وعاد أدراجه ركضاً وبأقصى سرعة .. ووجـد الفتاة واقفة بباب الحديقة .

وبدت الدهشة على وجه الفتـاة حين رأته .. فصاح بها وفي صوته رنة فوز :

– لا بد أنك سمعتها هذه المرة .

فحملقت اليه وفي عينيها نظرة لم يفهم معناها ، ولكنه لاحظ أنها تراجعت عندما اقترب منها .. بل ونظرت خلفها إلى الكوخ كأنمـا خطر لها أن تهرب اليه ، وتلوذ به .

وأخيراً هزت كتفيها وقالت وهي تتفرس في وجهه :
- كلا .. لم أسمع شيئاً .

فشعر كأنه تلقى ضربة بين عينيه ، كان صدقها من الوضوح بحيث لم يستطع الارتياب فيها .
ولكن كيف يمكن هذا ؟

قالت له بلطف ، وبصوت ينم عن العطف :
- هل أصبت بصدمة عصبية في الحرب ؟

وهنا فقط فهم سر خوفها ونظرتها إلى الكوخ ، لا بد أنها ظنته مصاباً بنوع من الخبل .
وفجأة ، خطر له خاطر غريب جعل الدم يجمد في عروقه ..
ماذا لو كانت الصبية على حق ، وكان هو مصاباً بخبل ؟
وتجسم هذا الخـــاطر في ذهنه ، وأذهله عن كل شيء فتحول عن الصبية دون أن ينطق بكلمة ، ومضى في طريقه وهو يترنح
وشيعته الصبية ببصرها ، ثم هزت رأسها وتنهدت وعادت إلى عملها في الحديقة .

وحاول جاك أن يحسم الأمر مع نفسه بطريقة منطقية ..
فقال يحدث نفسه :
- إذا سمعت هذه الاستغاثة اللعينـــة مرة أخرى في الساعة السابعة والدقيقة العشرين ، كان ذلك دليلاً كافياً على أنني مصاب بنوع من الهوس ، ولكني واثق من أنني لن أسمعها بعد الآن .
ولازمه الضيق وتوتر الأعصاب طوال ذلك اليوم ، وآوى إلى فراشه

في وقت مبكر ، وقد عقد العزم على أن يضع الأمر موضع التجربة في الصباح ..

وكان من الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يستولي عليه الأرق شطراً كبيراً من الليل ، ثم أنهكه التعب والتفكير آخر الأمر فاستغرق في النوم .

* * *

كانت الساعة قد قاربت السابعة والربع من صباح اليوم التالي حينما غادر الفندق وانطلق يعدو في الساحة .

كان واثقاً من أنه لن يصل في الوقت المحدد إلى البقعة المشؤومة التي تعود أن يسمع فيها صوت الاستغاثة .. ولكن إذا كان هذا الصوت ضرباً من الوهم والهلوسة حقاً .. فإنه لا بد سيسمعه في أي مكان !

وواصل الركض وعيناه لا تتحولان عن عقربي الساعة ؟

وما أن ازفت الدقيقة العشرون بعد السابعة ، حتى سمع صدى صوت استغاثة ..

لم يتبين الألفاظ ، ولكنه كان واثقاً من انه نفس الصوت ، وأنه صادر من نفس المكان ، في المنطقة المحيطة بالكوخ ..

ولم يزعجه ذلك بقدر ما أشعره بالطمأنينة والارتياح ، لا بد أن في

الأمر خدعة ، كما قالت الفتاة .. ومن يدري ، فقد تكون الفتاة نفسها هي صاحبة الخدعة !

وكف عن الركض ، وتناول المضرب ، وراح يمارس تدريبه اليومي كأن شيئاً لم يحدث .

كانت الفتاة في الحديقة كالعادة ، ولكنها كانت تنظر اليه على غير العادة ، فرفع قلنسوته وحياها بخجل ، وخيل اليه انها اليوم اجمل مما رآها في اي يوم سابق !

جعل يقذف بالكرة نحو الثقوب التي تعود استخدامها .. إلى أن اقترب من الكوخ .

قال لها وهو يصطنع المرح :

– يوم مشرق ، اليس كذلك ؟

– نعم ، إنه يوم جميل كأيام الربيع .

– اظن ان هذا الطقس ملائم لزهور الحديقة ؟

فابتسمت الفتاة ، وكشفت ابتسامتها عن اسنان كاللؤلؤ .

قالت :

– كلا مع الأسف .. إن زهوري بحاجة إلى المطر ، انظر اليها ، انها تكاد ان تذبل ؟

فاقترب جاك من سور الحديقة ، ونظر إلى الزهور وقال :

– إنها يانعة ، ولم تذبل ..

وكان يشعر طول الوقت بأن عيني الفتاة تنظران اليه باشفاق .

قالت :

— الشمس مفيدة على كل حال .. إنها تقتل هذا النوع من الزهور ، ولكنها تمنح الانسان الصحة والقوة .. إنك تبدو اليوم اوفر صحة مما كنت عليه بالأمس يا سيدي !

فضايقته لهجتها التي تنطوي على التشجيع وقال لنفسه :

— لعلها تحاول معالجتي بالايحاء !

قـال :

— انني بصحة جيدة ، حمداً لله .

فقالت بسرعة :

— يسرني ان اسمع ذلك ..

واحس جاك بأنها لم تصدقه ، وزاده ذلك ضيقاً وقلقاً ..

وبعد أن لعب الجولف بضع دقائق اخرى ، عاد ادراجه إلى الفندق ليتناول افطاره .

ولاحظ في قاعة الطعام ، إن الرجل الذي يجلس امام المـــائدة المجاورة ، ينظر اليه خلسة بين الفينة والفينة ، ولم تكن هـذه اول مرة يفعل فيها الرجل ذلك .. فقد لاحظ جـاك نظراته اليه في الأيام السابقة ، ولكنه لم يعرها اهتماماً ..

كان الرجل في الحلقة الرابعة من عمره ، له عينان سوداوان ثاقبتان ولحية سوداء صغيرة ، ووجـــه تنم قسماته عن الصلابة وقوة الارادة ، كما كانت حركاته المتأنية تدل على الثبات والثقـة بالنفس .. وقد علم جاك أنه يدعى لافنجتون ، وانه من كبار الأطباء الأخصائيين

ولكنه لم يهتم بمعرفة مجال تخصصه ..

ولكن اصرار الرجل على التفرس في وجهه في ذلك اليوم ، اشعره بشيء من الخوف .

ترى هل كان سره مكتوباً على وجهه ليقرأه الجميع ؟ وهل ادرك هذا الرجل ، بحكم مهنته ، ان بعقله خبلاً ؟

ومرت بجسده رعدة ..

أيمكن حقاً ان يكون على شفا الجنون .. وهل مـا حدث له في الأيام الأخيرة كان هوساً وهلوسة ، او مجرد مزحة ضخمة ؟

وفجأة ، خطرت له فكرة بسيطة من شأنهـــا ان تساعده على ان يعرف الحقيقة ، ويقطع الشك باليقين !

لقد كان دائماً يسير بمفرده في ساحـة الجوالف ، ولكن هب انه اصطحب معه شخصاً آخر ؟

ستكون النتيجة احد امور ثلاثة : إما ان يصمت صوت الاستغاثة او ينبعث فيسمعانه معاً .. او ينبعث فيسمعه هو وحده .

* * *

وفي المساء ، شرع بتنفيذ فكرته ، وكان لافنجتون هو الشخص الذي وقع عليه اختياره ؟

ولم يجد جاك اية صعوبة في استدراج لافنجتون الى الحـديث .

وامل لافنجتون نفسه كان يتوق إلى التحدث اليه ، كان واضحاً انـه يهتم به لأمر ما ؟

ولم يلبث جاك ان اقترح عليه ان يلعبا الجولف قبل الإفطار ، وتم الاتفاق على ان يكون ذلك في اليوم التالي ..

وكان الجو في اليوم التالي صحواً ، والسماء صافية ، فغادرا الفندق قبل الساعة السابعة .. ولعب لافنجتون ببراعة ، أمـا جاك فكان مضطرباً ، شارد الذهن ، وزاد اضطرابه مع اقتراب ساعة الحسم !

كان ينظر إلى ساعته بين لحظـة وأخرى ، وحينما وصلا إلى الثقب القريب من الكوخ ، كانت الساعة قد بلغت السابعة والربع .

وكانت الصبية في الحديقة كالمعتـــاد ، ولكنها لم تنظر اليهما ولم تعرهما اهتماماً .

واستقرت كرة جاك بالقرب من الثقب ، بينما تدحرجت كرة الدكتور بعيداً عنه !

وانحنى الدكتور فوق الكرة ، وراح يقيس بنظره المسافة بينها وبين الثقب لكي يودعها فيه بالضربة التالية .

أما جاك فإنه وقف جامداً في مكانه ، وقد تعلقت عيناه بعقربي الساعـة .

وكانت الساعة وقتئذ السابعة وعشرين دقيقة تماماً .

وضرب الدكتور الكرة برفق .. فتدحرجت ، وتوقفت على حافة الثقب ، ثم سقطت فيه .. فصاح جـاك بصوت أجش ، خيل اليـه أنه ليس صوته :

– أحسنت !

وحول عينيه عن الساعة ، وتنهد بارتياح .. فقد مرت اللحظة الحرجة دون أن يحدث شيء .

قال يحدث الطبيب :

– هل لديك مانع من أن نتريث قليلاً ريثما أحشو غليوني ؟

وحشا غليونه ، وأشعله بأصابع ترتجف .

كان يشعر كأن عبئاً ثقيلاً قد أزيح عن صدره .

قال :

– ما أجمل هذا اليوم ، العب يا لافنجتون .. هذا دورك !

وفي اللحظة التي أهوى فيها الطبيب بالمضرب على الكرة ، دوى صوت الاستغاثة عالياً مخيفاً :

– سأقتل .. النجدة ! النجدة ؟

فانثنى جاك نحو مصدر الصوت بسرعة ، وسقط الغليون من يده المرتجفة ..

ثم تذكر الفرض من اصطحاب لافنجتون ، ونظر اليه وقد تقطعت أنفاسه ..

ووضع لافنجتون يده فوق جبينه ليحجب الشمس عن عينيه ، وقال وهو يتابع الكرة ببصره :

– أظن أن الكرة قد تجاوزت الثقب كثيراً .

ولكنه لم يسمع جواباً ، فقد أحس جاك بالدنيا تدور حوله ، فخطا

خطوة أو خطوتين وهو يترنح ، ثم سقط على الأرض

* * *

عندما فتح جاك عينيه ، وجد نفسه ممدداً على العشب ولافنجتون ينظر اليه بقلق .

تمتم قائلاً :

– ماذا حدث ؟

– لقد أغمي عليك أيها الشاب ..

فتأوه جاك بألم وهتف :

– يا إلهي !!

– ما بك ؟ هل ثمة ما يزعجك ؟

– سأروي لك كل شيء ، ولكن . هل تسمح لي أولاً بـأن ألقي عليك سؤالاً ؟

فأشعل الدكتور غليونه وقال في هدوء :

– ألق ما شئت من الأسئلة ؟

– إنك كنت تراقبني في الأيام الأخيرة ؛ لماذا ؟

فتألقت عينا لافنجتون وأجاب وهو يبتسم :

– هـذا سؤال محرج . ولكن القطة تستطيع أن تنظر إلى الملك كما تعلم !

– لا تحاول التخلص من الاجابة ، انني جاد وأريد أن أعرف لماذا

كنت تراقبني ؟ هناك سبب جوهري لهذا السؤال .

فارتسمت على وجه الدكتور مسحة من الجد وقال :

– سأجيبك بصراحة .. انني لاحظت عليك جميع الأعراض التي تبدو على رجل أعصابه في أشد حالات التوتر .. وكنت أسائل نفسي : ترى ما عساه أن يكون سبب هـذا التوتر الشديد ؟

فقال جاك في مرارة :

– سأذكر لك السبب ، إنني في طريقي إلى الجنون !

وصمت . ولاحظ ان تصريحه لم يثر الاهتمام المتوقع ..

فقال مرة أخرى :

– قلت لك انني في طريقي إلى الجنون ؟

فتمتم لافنجتون :

– هذا غريب حقاً .

– يبدو أن الأمر لا يثير اهتمامك ، ولكن ذلك شأنكم جميعاً أيها الأطباء تنظرون إلى متاعب الناس بكل هدوء وبرود .

– إنك ترسل الكلام على عواهنه يا صديقي الشاب ؛ فأنا أولاً لا أمارس الطب رغم انني مؤهـل ؛ ثم انني لست طبيباً بالمعنى المعروف ؛ اعني أنني لست طبيب أجسام !

فنظر اليه جاك بحدة وقال :

– طبيب عقول إذاً ؟

– نعم .. إلى حد ما ؛ انا اصف نفسي بأنني طبيب أرواح .

– أحقاً ؟

– أصغ ايهــــا الشاب ؛ اني اتبين في صوتك رنة السخرية ؛ ولكن هناك عامل فعال مستقل عن الجسم تماما ويجب أن يكون له اسم .. بعض الناس يسمونه النفس ؛ ورجال الكنيسة يسمونه الروح ؛ والبعض يقولون انه العقل فحسب والبعض يزعمون انه العقل البـــاطن ؛ وفي استطاعتك انت ان تطلق عليه اي اسم تشاء ..

إنك شعرت بالاستياء منذ لحظة ؛ لأنني قابلت تصريحك عن حالتك العقلية بعدم الاكتراث .. ولكني في الواقع كنت مشدوها ؛ لأني لم افهم كيف يتصور شاب مثلك ؛ كل تصرفاته طبيعية وتتسم بالاتزان انه يوشك ان يفقد عقله !

فقال جاك باصرار :

– بل أنا مجنون فعلا ؟

– ارجو المعذرة ؛ ولكني لا استطيع ان اصدقك .

– اني اتوهم اشياء لا وجود لها !

– هل يحدث ذلك بعد الغداء ؟

– كلا .. في الصباح .

فأعاد الطبيب اشعال غليونه الذي انطفأ وقال :

– لا أظن ذلك !

– صدقني ؛ اني اسمع اشياء لا يسمعها سواي ؟

– إذا كان هناك رجل واحد بين الف رجل استطاع أن يرى القمر بينما لم يستطع الآخرون ذلك فهذا ليس معناه ان القمر غير موجود ؛ او ان هذا الرجل مجنون .

فسري عن جاك ، وشعر بالارتياح الى حديث الدكتور ، وكان هـذا يراقبه فرأى التحول الذي طرأ عليه وقال :

- هذا أفضل .. والآن دعنا نتحدث عن الأسباب التي حملتك على الاعتقاد بأنك في طريقك إلى الجنون ، قبل ان نقرر ما اذا كان ينبغي ارسالك الى مصحة للأمراض العقلية !

فروى له جاك بدقة وامانة قصة صرخات الاستغاثة ، وختم حديثه بقوله :

- ولكن الشيء الذي لا استطيع ان افهمه ، هو لمـاذا تأخرت الاستغاثة اليوم عن موعدها المعتاد ، فانبعثت في الساعة السابعة وخمس وعشرين دقيقة بدلاً من السابعـة وعشرين دقيقة .. اي بتأخير خمس دقـائق ؟

ففكر لافنجتون قليلا ، ثم سأل :

- كم ساعتك الآن ؟

فنظر جاك إلى ساعته وأجاب :

- الثامنة إلا الربع !

- الأمر اذاً في غاية البساطة ، فساعتي الآن الثامنة الا عشر دقائق ، وهـذا معناه ان ساعتك متأخرة خمس دقائق ، وتلك حقيقة مهمـة جداً !

فقال جاك وقد استبد به الفضول :

- كيف ؟

- ان ظاهرة صوت الاستغاثة يمكن تفسيرها على النحو التالي :

انك سمعت هذا الصوت حقيقة في اليوم الأول . ولعله صدر من أشخاص يمزحون .. ولكنك في اليوم التالي أوهمت نفسك بأنك سمعت نفس الصوت في نفس اللحظة .

– أنا لم اوهم نفسي بشيء !

– إنك لم تشعر بذلك .. مثل هذه الأوهام والايحاءات تصدر عادة عن العقل الباطن ، وعلى كل حال هذا التفسير لا يفي بالغرض ، إذ لو كان الأمر مجرد إيحاء أو إيهام للنفس لسمعت صوت الاستغاثة في الساعة السابعة والدقيقة العشرين وفقاً لساعتك ، ولما سمعته قط بعد فوات هذا الموعد .

– إذاً ؟

– إن الأمر واضح فيما أعتقد ، فصرخة الاستغاثة لها مكان وزمان محددان ، فأما الزمان فهو الساعة السابعة والدقيقة العشرين ، وأما المكان فهو المنطقة المحيطة بالكوخ .

– ولكن لماذا أنا الشخص الوحيد الذي قدر له أن يسمعها ؟ انني لا اؤمن بالأشباح والأرواح وغير ذلك من الخزعبلات والخرافات .

– هذا ما يستعصى على أفهامنا في الوقت الحاضر ، ولعل من الحقائق العجيبة أن افضل الوسطاء في التنويم المغنطيسي وتحضير الأرواح هل اقل الناس إيماناً بالعلوم الغامضة !

إن بعض الناس يرون ويسمعون اشياء لا يراها ولا يسمعها الآخرون ، ونحن لا نعلم لماذا . وتسعة أعشار هؤلاء الناس لا يريدون رؤية أو سماع هذه الأشياء ، ويعتقدون ان ما يرونه ويسمعونه هو مجرد وهم ، كما هو

الحال معك .

إن هذه الظاهرة تشبه بعض الحقائق المتصلة بالكهرباء ، فهناك مواد موصلة للكهرباء ومواد غير موصلة لها .. وقد ظللنا وقتاً طويلا نجهل الأسباب ، واضطررنا إلى قبول هذه الحقيقة على علاتها .. ولكننا الآن نعرف الأسباب ..

ولا شك أن يوماً ما سوف يأتي نعرف فيه لماذا تسمع أنت أشياء لم اسمعها انا ، ولم تسمعها الفتاة .

إن كل شيء تحكمه نواميس الطبيعة كما تعلم ، ولا توجد في الواقع أشياء خارقة للطبيعة ، ولا شك ان اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر النفسية سيكون أمراً شاقاً وعسيراً ، ولكنها ستكشف على كل حال إن عاجلا أو آجلا ..

فسأله جاك :

– ولكن ماذا افعل أنا الآن ؟

فضحك لافنجتون واجاب :

– ارى انك شاب عملي اصغ الي يا صديقي العزيز ، إن ما يجب عليك عمله الآن هو ان تتناول افطاراً شهياً ، ثم تنطلق الى عملك دون ان تتعب ذهنك بالتفكير في امور لا تفهمها ، اما انا فإنني سأتولى الموضوع نيابة عنك واقوم ببعض التحريات في منطقة الكوخ ، التي اعتقد انها مفتاح السر ..

فرد جاك بهدوء :

– حسناً يا سيدي . سأذهب الآن ، ولكني اود ان أقول !

فقال لافنجتون :

– ماذا ؟

فاحمر وجه جاك وقال في خجل :

– انا واثق أن الصبية لا علاقة لها بالموضوع .

فابتسم لافنجتون وقال :

– انك لم تقل لي إنها على هذا القدر من الجمال .

- ٢ -

عاد جاك إلى الفندق في المساء وهو يتحرق شوقاً وفضولاً الى معرفة نتيجة الأبحاث التي قام بها لافنجتون ..

كان قد اطمأن اليه ، ووثق به ثقة عمياء ، بعد ان رآه يعالج الموقف في هدوء ، وبطريقة منطقية .

وجده بانتظاره في بهو الفندق ، واقترح الطبيب ان يتناولا طعام العشاء على مائدة واحدة ..

وهناك سأله جاك في لهفة :

- هل لديك أنباء يا سيدي ؟

- لقد عرفت الكثير عن الكوخ ، انهم يطلقون عليه اسم (كوخ هيذر) ، وكان في وقت ما مؤجراً لبستاني عجوز وزوجته ، ولما مات البستاني ، ذهبت زوجته للاقامة مع ابنتها .

ثم انتقلت ملكية الكوخ الى أحد المقاولين ، فأدخل عليه تعديلات جوهرية ، وجعل منها مسكناً عصرياً جميلاً .. وباعه الى رجل أعمال في لندن ، وكان رجل الأعمال يقضي فيه عطلة نهاية الأسبوع .

ومنذ نحو عام ، عرض رجل الأعمال الكوخ للبيع فاشتراه رجل

يدعى ترنر ، وأقام فيه مع زوجته ..

وكان ترنر انجليزياً ، اما زوجته فكانت روسية ، وعلى جانب كبير من الجمال .

وعاش الزوجان في الكوخ حيـــاة هادئة ، بمعزل من الناس .. فلم يزورا أحد ولم يزرهما أحد ، وقلما كانا يغادران الكوخ إلى أبعد من الحديقة وقالت الشائعات أنهما يخشيان شيئاً ، ولكننا لا يجب ان نعول على مـــا ترده الشائعات .

ثم حدث ذات يوم أنهما رحلا فجأة في ساعـة مبكرة من الصباح ولم يعودا إلى الكوخ .. وبعد بضعة أيام تسلم احد السماسرة رسالة من مستر ترنر ، طلب اليه فيها ان يبيع الكوخ بأسرع ما يمكن ، فباع السمسار الأثاث ، ثم باع الكوخ لرجل يدعى (مولفيرر) ، وأقام المشتري في الكوخ نحو أسبوعين فقط ثم عرضه للايجـــار ، ومنذ عشرة أيام ، استأجره سكانه الحاليون ، وهم أستاذ فرنسي مصاب بالسل الرئوي ، وابنته الحسناء التي رأيتها في الحديقة .

وأصغى جاك إلى حديث الطبيب في صمت ، ثم قال :

– إن هذه القصة لا تقدم ولا تؤخر في موضوعنـــا ، فما رأيك أنت ؟

فأجاب لافنجتون في هدوء :

– انني أردت أن اعرف المزيد عن ترنر وزوجتـــه ، فقـــد قيل لي أنهما رحلا في ساعة مبكرة ، ولم يرهما أحـــد حين رحلا .. كذلك قيل لي أن مستر ترنر شوهد بعد ذلك في لندن .. أما الزوجة فلم

يرها أحد .

فامتقع وجه جاك وقال :

– هل تعني أن ..

– لا تنفعل يا صديقي .. إن الشخص الذي يموت ميتة عنيفة يؤثر في الأشياء التي تحيط به تأثيراً قوياً وغريباً ، وهذه الأشياء قد تمتص التأثير لتنقله بدورها إلى مستقبل آخر على استعداد للتأثر به ، والمستقبـل في الحالة التي نحن بصددها الآن هو انت .

فقال جاك بحنق واصرار :

– ولكن لماذا أنا ؟ لمـــاذا لا ينتقل التأثير إلى شخص آخر أصلح مني ؟

تمتم لافنجتون :

– انت تنظر إلى هذه القوى الغامضة كما لو كان لها ذكاء وهدف ، بينما هي في الواقع قوى عمياء وآنية ..

أما شخصياً لا اؤمن بالأرواح التي ترتاد مكانـاً بعينه لغرض معين ، ولكن الشيء الذي رأيته المرة تلو المرة ، حتى اقتنعت بأنه لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفات ، هو تلك القوى العمياء التي تتحرك في الظلام من اتجاهات مختلفة إلى هدف واحد ، هو تحقيق نوع من العدالة ، أو تنفيذ نوع من القصاص !

قال ذلك وتنهد ، وهز رأسه بشدة كأنما ليتخلص من خـــاطر يلح عليه ، ثم التفت إلى جاك وقال وهو يبتسم :

– دعنا من هذا الموضوع الآن .. دعنا منه الليلة على الأقل !

فوافق جـــاك على كره منه .. فقد كان ذلك الموضوع هو شغله الشاغل .

* * *

في عطلة نهاية الأسبوع ، قام جاك ببعض التحريات الخاصة لاماطة اللثام عن السر ، ولكنه لم يتوصل إلى شيء من المعلومـــات اكثر مما توصل اليه الدكتور .

بيد انه كان قد كف نهائيا ، بعد الحـــادث الأخير ، عن لعب الجولف قبل الافطار .

- ٣ -

جاءت الحلقة التالية في السلسلة من مصدر غير متوقع .. فقد رجع جاك إلى فندقه ذات يوم ، فقيل له أن فتاة تنتظره وتريد مقابلته ، ولشد ما كانت دهشته حين وجد أن الزائرة هي فتاة الكوخ .

كانت بادية الاضطراب والارتباك .

بادرته بقولها :

- معذرة يا سيدي عن تطفلي عليك ، ولكن هناك أشياء اريد ان اخبرك بها ، انني ..

ونظرت حولها بقلق ، ففهم غرضها وقال :

- تعالي معي ..

وقادها إلى قاعة الاستقبال ، وكانت خالية في تلك اللحظة ، فأشار إلى أحد المقاعد وقال :

- تفضلي بالجلوس يا مس .

- فيليس مارشو ..

- تفضلي بالجلوس يا مس مارشو ، وتكلمي بلا حرج !

فأطاعت الفتاة وجلست .

كانت ترتدي ثوباً اخضر داكناً ، أبرز جمال وجهها وانعكس لونه على عينيهـا الفاتنتين ، فشعر جـاك بقلبه ينبض بسرعة وهو يجلس بجوارهـــا !

وتكلمت الفتاة ، فقالت بتلك اللكنة الأجنبيـة الحبيبة ، دون أن تتحرج من الاستعانة ببعض الألفاظ الفرنسية التي لا تعرف ما يقابلهـا بالانجليزية :

– سأبدأ من البداية يا سيدي .. إننا استأجرنا ذلك الكوخ منـذ فترة قصيرة ، وسمعنا منذ اليوم الأول انه مسكون ، ولم نجد خادمة أو خادماً يرضى بالاقامة معنا فيه .. ولكن ذلك لا يهم .. فإني اطهو الطعام بنفسي وأدبر شؤون البيت بسهولة ..

فتمتم جاك لنفسه :

– يا لها من ملاك !

ولكنه حرص على الاحتفاظ بمظهره الجاد ..

ومضت الصبية في قصتها قالت :

– كل ما يقال عن الأشباح والأرواح حديث خرافة ، أو ان هذا ما كنت أعتقده قبل اربعة ايام .

لقد رأيت ، فيما يرى النائم يا سيدي ، خلال اربع ليال متوالية ، حلماً واحداً لا يتغير .. سيدة طويلة شقراء ، على جـــانب كبير من الجمال ، تحمل بين يديهـا اناء ازرق اللون ، تنظر اليّ بحزن وتقدم الي الاناء وكأنها تهيب بي ان افعل شيئاً به .. ولكنهـــا لا تتكلم ولا تفصح عما تريد ..

وتكرر هذا الحلم ليلتين متواليتين ، وفي الليلة الثالثة ، ما أن تلاشت صورة السيدة والاناء حتى سمعت صرخـــة رهيبة ، وصوتاً لا شك أنه صوت السيدة ، كانت تصيح :

سأقتل .. النجدة .. النجدة ..

نفس الاستغاثة التي سمعتها أنت وحدثتني عنها منذ ايام !

واستيقظت من نومي مذعورة ، وقلت لنفسي « هذا كابوس ، والاستغاثة مجرد مصادفة » .

ولكن هذا الحلم الرهيب تكرر مرة أخرى ليلة امس ، فما معنى ذلك يا سيدي ؟ أنت أيضاً سمعت هذه الاستغاثـة .. فماذا يجب أن نفعـل ؟

وكان الذعر واضحاً على وجهها وهي تنظر إلى جاك في توسل ؟

وتظاهر جاك بقلة اكتراث لم يكن يشعر بها حقاً ، وأجاب :

– رفهي عنك يا مس مارشو ولا تنزعجي .. سأقول لك ماذا ينبغي عمله .. اني اريدك ان تروي هذه القصة بحذافيرها لصديق لي يقيم في هذا الفندق هو الدكتور لافنجتون .

ووافقت فيليس بعد تردد قصير ، وانطلق جــاك للبحث عن لافنجتون ، ووجده في غرفته ، فرافقه إلى قاعة الاستقبال وقـدمه إلى فيليس ..

وتفرس الطبيب في وجه الفتاة .. وابتسم لها مشجعاً !

فروت لها قصتها ، وأصغى اليهـا باهتمام .. ثم هز رأسه وقال :

– قصة عجيبة حقاً ، هل رويتها لأبيك ؟

- كلا .. إنه مريض جداً ، ولم أشأ ازعاجه !

وامتلأت عيناها الساحرتان بالدموع واستطردت قائلة :

- انني أحجب عنه كل ما يثيره أو يضايقه .

فقال لافنجتون في رفق :

- خيراً فعلت .. لقد سرني قدومك يا مس مارشو ، فإن صديقي مارتنجتون قد مر بمثل تجربتك ، كما تعلمين ، وفي استطاعتي الآن أن اقول أننا وضعنا أقدامنا على أول الطريق . هل لديك معلومات أخرى يا آنسة ؟

فأجابت الصبية بسرعة :

- نعم .. نعم .. ما أشد غباني .. لقد كدت أنسى أهم نقطة في الموضوع .. انظر يا سيدي ، انني وجدت هذه خلف أحد الدواليب .

وأخرجت من حقيبتها ورقة قذرة عليها صورة بالألوان المائية تمثل امرأة طويلة شقراء ، توحي ملامحها بأنها ليست انجليزية ، وبجوارها مائدة عليها إناء خزفي أزرق ..

قالت الصبية :

- لقد وجدت هذه الصورة صباح اليوم ، فقط يا دكتور ، وهذا الوجه ، هو وجه السيدة التي رأيتها في أحلامي .. وكذلك هذا الاناء الأزرق !

فقال لافنجتون :

- عجباً ! يخيل الي أن هذا الاناء هو مفتاح السر ، وأكبر الظن انه

صيني الصنع ، ويرجع تاريخه إلى عدة قرون .

فصاح جاك :

– نعم ، انه صيني .. فقد رأيت اناء مماثلا له ضمن مجموعة عمي من التحف والأواني الأثرية .. إن عمي من كبار هواة جمع الخزف الصيني ، واني لأذكر انني رأيت عنده إناء مماثلا لهذا الاناء منذ فترة قصيرة .

فأطرق لافنجتون برأسه واستغرق في التفكير لحظة ، ثم رفع رأسه بغتة ، فإذا في عينيه بريق غريب !

قال :

– متى حصل عمك على هذا الاناء يا هارتنجتون ؟

– الحق انني لا اعلم .

– فكر جيداً .. هل اشتراه مؤخراً ؟

– لا اعلم .. آه .. نعم ، تذكرت الآن .. أنا شخصيـــاً لا اهتم بالتحف والاواني الخزفيـــة ، ولكني اذكر ان عمي عرض علي آخر صفقاته ، وكان الاناء بينها ..

– هل حدث ذلك منذ حوالي شهرين ؟ فقد غادر مستر ترنر الكوخ منذ شهرين تقريباً ..

– اعتقد ذلك !

– هل يشترك عمك في المزادات التي تقام في الضواحي ؟

– انه يشترك في جميع المزادات .

– إذاً فنحن لا نخطىء كثيراً إذا افترضنا ان عمك قد اشترى الاناء في المزاد الذي بيع فيه أثاث مستر ترنر ..

يا لها من مصادفة عجيبة ! هذا ما اسميه بالقوى الخفية التي تتحرك في الظلام لتحقيق هدف معين !

اصغ الي يا هارتنجتون .. يجب ان تعرف من عمك في اقرب وقت ممكن ، كيف ومن اين اشترى الاناء الأزرق ؟.

ولكن جاك هز رأسه واجاب :

– هذا مستحيل ، لأن عمي سافر إلى فرنسا ولا اعرف عنوانه كي اكتب اليه !

– وهل سيبقى هناك طويلا ؟

– ثلاثة اسابيع على الأقل .

فساد صمت عميق وراحت فيليس تنقل البصر بين الرجلين ، ثم قالت على استحياء :

– اليس هناك ما يمكن عمله ؟

فقال لافنجتون بشيء من الحماسة :

– بل يوجد ما نستطيع عمله !

ثم التفت إلى جاك وقال :

– انه اجراء غير طبيعي ، ولكني اعتقد انه سينجح ..

اصغ الي يا هارتنجون .. يجب ان تستولي على هـذا الاناء بأية وسيلة وتأتي به إلى هنا ، واذا سمحت الآنسة ، فإننا سنقضي ليلة في الكوخ ومعنا الاناء !

فاحس جاك بقشعريرة تسري في جسده وسأل في قلق :

– ماذا تظنه سيحدث ؟

- ليست لدي أية فكرة ، ولكنني اعتقد اننا سننجح في إماطة اللثام عن السر ٠٠ ومن يدري ، فقد يكون في قاع الاناء مخبأ سري به يوصلنا إلى الحقيقة .

فهتفت فيليس وهي تضم يديها بانفعال :

- هذه فكرة رائعة !

وتألقت عيناها حماسة وسروراً ، ولم يتحمس جاك للفكرة مثلها ، ولكنه اخفى شعوره حتى لا يصيبها باليأس وخيبة الأمل .

وانثنت اليه الفتاة وسألته :

- متى يمكنك الحصول على الاناء ؟

فصمت قليلاً ثم اجاب :

- غداً ..

لم يكن مقتنعاً بالفكرة ، ولكن تلك الصرخة المخيفة التي كانت تعكر صفو حياته لم يكن من السهل عليه نسيانها او اهمالها ..

كان على استعداد لأن يقدم على اي شيء ليعرف سرها ويتخلص منها .

* * *

وفي مساء اليوم التالي ، ذهب الى بيت عمه واخذ الاناء .

ولم يكد يقع بصره عليه حتى ازداد اقتناعاً بأن الطبيب يسير في الطريق الصحيح ، ذلك لأن الاناء كان مطابقاً للصورة التي رآها ، ولكنه ما ان فحصه حتى استبعد فكرة وجود مخبأ به .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة حين وصل جـاك ولافنجتون الى الكوخ ، وكانت فيليس تترقب قدومهما ، ففتحت الباب قبل ان يطرقاه .

قالت لهما بصوت خافت :

– ادخلا .. ان ابي نائم في الطابق الأول ولا يجب ان نوقظه ، لقد اعددت لكما القهوة هنا .

وقادتهما الى قاعة استقبال صغيرة وقدمت اليهما اقداح القهوة .. ولما فرغا من احتسائها ، اخرج جاك الاناء من اللفائف التي احاطته بها .. ولم تكد فيليس تراه حتى شهقت دهشة واعجاباً .

هتفت قائلة :

– نعم .. نعم .. هذا هو .. انني استطيع التعرف عليه في اي مكان !

وفي هذه الأثناء كان لافنجتون يعد عدته ، فنقل احدى الموائد الصغيرة إلى وسط الغرفة ؛ فوضع ثلاثة مقاعد حولها .. ثم اخذ الاناء من يد جاك ووضعه في وسط المائده .. وقال :

– ها نحن الآن على استعداد ، فلنطفيء الأنوار ونجلس حول المائدة في الظلام .

فأطفأت فيليس الأنوار ، وجلست على أحد المقـاعد .. كما فعل جـاك .

ومرة أخرى تكلم لافنجتون وانبعث صوته من الظلام .

كان يقول :

– لا تفكرا بشيء .. ولا تجهدا عقليكما ، فقد يكون احدنا صالحاً لأن يصبح وسيطاً .. فإذا حدث ذلك لأحدنا فإنه سيجد نفسه في غيبوبة ، ولكن ليس ثمة ما يدعو إلى الخوف . اطرحا المخاوف .. واسترخيا .. استرخيا ؟

وخفت صوته بالتدريج ، ثم تلاشى ..

وساد صمت عميق ، ومرت الدقائق ، واستمر الهدوء .. كان هدوءاً مثقلا بالاحتمالات !

لقد كان من السهل على لافنجستون أن يقول (اطرحا المخاوف) ..

ولكن ما شعر به جاك لم يكن خوفاً ، وإنما كان ذعراً .

وكان واثقاً من ان فيليس تشعر بمثل شعوره ..

وفجأة .. سمعها تقول بصوت خافت مرتجف :

– يخيل اليّ أن شيئاً مخيفاً سيحدث ..

فقال لافنجستون :

– اطرحا المخاوف ، ولا تقاوما القوى الخفية

وخيل لجاك أن الظلام يزداد شدة ، وان السكون يزداد حدة ، وتملكه شعور بأن خطراً مجهولا يقترب خطوة فخطوة .

ثم أحس بأنه يختنق .

وبأن الخطر المجهول يحلق فوق رأسه ..

فحاول المقاومة ، ولكنه لم يستطع حراكاً ..

ثم مرت لحظة النضال ، وخيل اليه انه ينحدر مع تيار جارف ،

فاستسلم وثقلت جفونه .. وهدأت نفسه ، وغاب في الظلام .

* * *

تحرك ببطء .. وشعر برأسه ثقيلا ككتلة من الرصاص

أين هو ؟

رأى الشمس ، والطير ، والسماء وبدأ يتذكر ..

تذكر الجلسة الغريبة في قاعة الاستقبال الصغيرة بالكوخ .

وتذكر فيليس والطبيب !

ماذا حدث بعد ذلك ؟

اعتدل جالسا ونظر حوله .. ووجد انه كان ممدداً فوق العشب بالقرب من الكوخ ؛ وليس هناك احد سواه ..

نظر إلى ساعته ، ولشد ما كانت دهشته حين رأى عقربيها يشيران إلى الساعة الثانية عشرة والنصف

نهض واقفا .. وانطلق يعدو نحو الكوخ .

لا بد ان الطبيب وفيليس قد استولى عليهما الخوف حين راح في غيبوبة ، فحملاه من الكوخ ومدداه على العشب في الهواء الطلق .

* * *

طرق باب الكوخ بشدة ، ولكنه لم يسمع جواباً ، ولم يشعر بحركة

داخل الكوخ .

لا بد انهما ذهبا في طلب النجدة ، او ..

وانخلع قلبه وتملكه خوف شديد ..

ترى ماذا حدث ليلة امس ؟

عاد إلى الفندق بأقصى سرعة ، وهم بأن يسأل موظف الاستقبال عن الدكتور لافنجتون .. ولكنه فوجيء بلكزة قوية في جنبه كادت تطرحه أرضاً .

وعندما استدار في غضب ، وقع بصره على رجل أشيب يضحك ملء شدقيه .

قال الرجل :

- إنك لم تكن تتوقع قدومي ، اليس كذلك يا فتى ؟

- أهذا أنت يا عماه ! ظننتك قد سافرت إلى باريس !

- اني كنت في باريس ، ولكني وصلت إلى (دوفر) ليلة أمس ، واستقليت السيارة ، وخطر لي أن أمر بك هنا كي أراك ، قبل ان أواصل رحلتي إلى لندن . ولكن ماذا وجدت ؟ وجدتك لا تزال منغمساً في حياة اللهو والعبث . فقد قيل لي إنك قضيت ليلتك في الخارج ..

فقال جاك بحزم :

- كفى كفى يا عماه . إنني مررت بتجربة سأرويها لك ولكني واثق من أنك لن تصدقها .

وروى لعمه القصة من بدايتها وختمها بقوله :

- والله وحده يعلم ماذا حدث لهما ..

ولكن العم كان على وشك أن يصاب بالفالج . وصاح بمجرد أن حلت عقدة لسانه :

- والاناء .. الاناء .. الأزرق ماذا كان مصيره ؟

فنظر اليه جاك في دهشة ..

ومن خلال العبارات المضطربة التي تدفقت من فم عمه بدأ يفهم !

فهم ان الاناء الأزرق هو أثمن قطعة في مجموعة عمه ، وأنه تحفة أثرية من عهد أسرة (مينج) التي حكمت الصين طوال اربعة قرون .. وأن المليونير الأمريكي هاجنهايمر كان على استعداد لشرائه بمائة الف دولار ، وان الاناء هو الوحيد من نوعه في العالم ..

وختم العم محاضرته المحمومة بقوله :

- ماذا فعلت باناني الأزرق ايها الوغد ؟

وأسرع جاك إلى موظف الاستقبال وسأله عن الدكتور لافنجتون ، فنظر اليه الموظف في هدوء وقال :

- الدكتور لافنجتون غادر الفندق ورحل بسيارته مساء امس وترك لك هذه الرسالة ..

وتناول جاك الرسالة بيد ترتجف وفضها ..

كانت رسالة مقتضبة ، ولكنها في الصميم ؛ قرأ فيها :

يا صديقي العزيز ..

هل انتهى عصر الخرافات والشعوذة ؟

لا أظن .. خاصة إذا صيغت الخرافات والشعوذة بأسلوب علمي حديث .

لقد رحلنا منذ عشر ساعات وأعتقد ان هذه مدة كافية ، فلا تحاول اللحاق بنا .

فيليس تحييك وتبعث اليك اطيب التمنيات ، وكذلك أبوها المريض وصديقك المخلص .

أمبروز لافنجتون
طبيب الأرواح

رجل شديد الحذر

كان مطعم روسي من أرقى وأغلى المطاعم في الحي الشرقي .

دخل (لي كوستا) المطعم ونظر حوله ، وحاول أن يتخيل ما كان عليه المطعم في عهد صاحبه السابق واكسمان البدين ..

لقد عمل كوستا في هذا المطعم وهو صبي ، حين كان واكسمان يحتضن عدداً من الفتيان ، ويدربهم على الجانب غير المشروع من نشاطه ، وكان كوستا من أذكى أولئك الفتيان ، وطالما تنبأ له واكسمان بمستقبل عظيم .

لو أن واكسمان رآه الآن ، فتى مورد الوجنتين عريض الكتفين ، مفتول العضلات له عينان كعيني الصقر لعرف أن كوستا كان عند حسن ظنه به .

وجد كوستا بعد ان أجال البصر حوله لحظة أن نظام المطعم لم لم يطرأ عليه تغيير يذكر ، فما زال البار يمتد على طول الجدار الأمامي ، وما زالت الموائد على الجانبين وحلبة الرقص في الوسط ، وغرفة المعاطف والقبعات إلى يمين الداخل .

اقترب كوستا من مكتب حجز الموائد وقال للموظف :

- اريد مقابلة جو روسيتي .

- اي اسم اذكر له ؟

- قل له مندوب شركة التأمين !

- ألا اذكر له اسماً ؟

- قل له مندوب شركة التأمين وسيفهم !

- انتظر في البار إذا شئت .

فاتجه كوستا إلى غرفة الملابس ليترك معطفه ، وحين استدار ليذهب إلى البار وجد خادماً ضخم الجسم من خدم المطعم يسد عليه الطريق :

- تعال . سأذهب بك إلى روسيتي !

ورافقه إلى مصعد قديم في ركن المكان ..

* * *

كان روسيتي يقيم في شقة بالطابق الرابع ؛ فضغط الرجل البدين زراً ؛ ففتح الباب وسار الرجلان إلى غرفة فسيحة تحتل الجانب المطل على الشارع ؛ ووجدا في انتظارهما بباب الغرفة رجلاً قصير القامة ممتلىء الجسم .

ونظر الرجل إلى كوستا متسائلاً وقال بلهجة تنم عن أصله الايطالي :

- انا جو روسيتي .

ولم يتناول اليد التي مدها اليه كوستا ؛ واستمر يصعد الزائر بعينيه وهو مقطب الجبين ..

وأخيراً قال :

ـ انك أصغر مما توقعت .. تعال واجلس !

ونظر إلى الرجل البدين وقال :

ـ اجلس انت ايضاً يا زيجي ..

وتنحى عن الباب ، وافسح لهما الطريق إلى داخل الغرفة ، ثم قال يحدث امرأة عجوز تعمل بابرتها في أحد أركان الغرفة :

ـ دعيني اقدم لك (لي كوستا) يا هيلين ..

فرفعت المرأة رأسها وتعلقت عيناها بعيني كوستا لحظة .. ثم تنهدت وقالت :

ـ أهذا هو ؟

فأومأ روسيتي برأسه علامة الايجاب .

ونظرت العجوز مرة أخرى وجمعت حوائجها وقالت لزوجها وهي تنهض :

ـ باشر عملك وسنتناول الطعام بعد ذلك .

وغادرت الغرفة .

وظل زيجي واقفاً ينظر إلى كوستا ، ثم قال يحدث روسيتي :

ـ هل يضايقك هذا الرجل ؟

فهز روسيتي رأسه سلباً ، بينما لمعت عينا كوستا فجأة وقال :

ـ هب اني أضايقه . فماذا ستفعل ؟

فأجاب زيجي وهو يخطو نحوه :

ـ القي بك إلى الخارج !

فتحول كوستا إلى روسيتي وقال :

- يحسن بك ان تشد وثاق هذا القرد .

ونظر إلى زيجي وقال في هدوء :

- إلى الوراء ايها البدين !

ولكن زيجي انقض عليه ، وبأسرع من لمح البصر ، ركله كوستا في بطنه ركلة جعلته ينثني إلى الأمام ، ثم عاجله بلكمة طرحته ارضاً وقال :

- معذرة يا مستر روسيتي . إنه كان البادىء ..

فنظر روسيتي إلى الرجل الممدد على الأرض وقال :

- بهذه السرعة ؟

فقال كوستا .

- انك تجيد عملك يا مستر روسيتي ، وأنا أيضاً أجيد عملي ؟

- سوف يقتلك .

فهز كوستا رأسه وأجاب :

- كلا . لن يفعل .. انه سيعود الآن إلى المطعم ليتعامل مع السكارى اليس كذلك يا زيجي ؟

فتأوه الرجل ، ورفع رأسه كالسلحفاة الجريحة .. ونظر إلى وجه كوستا الباسم .

قال هذا :

- إنني ترفقت بك هذه المرة ، ولكني لن افعل ذلك في المرة القادمة فتذكر هـذا !

فوقف الرجل مترنحاً ، وغادر الغرفة دون أن ينطق بكلمة .

قال كوستا :

– لماذا سمحت له بالبقاء هنا يا مستر روسيتي ؟

– كنت خائفاً .

– مني ؟ لا ضرورة لأن تخشاني ، اني رجل محترف ، ولا أفعل سوى ما تقاضيت أجراً عنه ، ولا شيء اكثر منه .

فاعتدل روسيتي في مقعده .. وقال كوستا :

– والآن . ما خطبك ؟ قال لي صديقنا المشترك أن لديك مشكلة ؟

– نعم . لدي مشكلة ، ولذلك أرسلت في طلبك .

– من الذي أثار هذه المشكلة ؟ اذكر لي اسمه يا مستر روسيتي !

– رجل يدعى باكستر .. روي باكستر .

– اليس من سبيل آخر لحسم المشكلة ؟

– يوجد سبيل آخر .. هو ان ادفع ، وانا على استعداد !

– إن الدفع لا يحسم الأمور في مسائل الابتزاز !

– هل تعرف الموضوع ؟

– لا اعرف اكثر مما ذكره لي صديقنا المشترك ، قال إن شخصاً يريد أن يبتز منك مبلغاً من المال .

فظهرت على وجه روسيتي دلائل التردد .

قال كوستا :

– تكلم يا مستر روسيتي ، في استطاعتك ان تثق بي .

فقال كوستا وهو يشيح بوجهه :

– منذ سنوات عديدة ، قتلت رجلا ، وقد علم باكستر بالأمر وهو الآن

يطلب ثمن سكوته .. أنا أعرف باكستر واعلم انه لن يقف عند حد ، وسيعاود الكرة إذا أنا اعطيته ما يطلب ، لذلك اتصلت بصديقنا .. وكنت قد أسديته معروفاً ، فرد الصنيع بأن ارسلك اليّ .

– هل قلت لزوجتك ؟

– انها تعرف كل شيء ، ولكنها امرأة كتوم .

– هل يعلم أي انسان آخر لماذا ارسلت في طلبي ؟

– كلا .. لا يعلم ذلك أحد سواي أنا وزوجتي وصديقنا .

ثم أخرج من درج مكتبه ورقة وقال :

– اليك عنوان باكستر في بيته وعمله ، وصورة له .

فنظر كوستا إلى الورقة وسأل :

– ما عمله ؟

– أنه محام .. او ان هذا ما يزعمه ، ولا اعلم من اين يحصل على المال ، ولكن المعروف عنه أنه ثري .

– إذاً لماذا يريد مالك ؟

– لا أعلم ، ربما لأن نفقاته كثيرة .

– وأنا ايضاً نفقاتي كثيرة .

– اعلم ذلك ، وأنا على استعداد للدفع .

فقال كوستا وهو يبتسم :

– طلب صديقنا ان اتعامل معك بسعر الجملة ، هل تستطيع أن تدفع خمسة آلاف دولار ؟

– نعم فهذا المبلغ لا يكاد يذكر بالقياس إلى ما يطلبه باكستر .

- ما هي المهلة التي منحك إياها ؟

- قال انه سيمهلني أسبوعين لاعداد مبلغ خمسة وعشرين الف دولار ، فإذا لم أدفع هذا المبلغ خلال هذه الفترة ، فإنه سيذهب إلى البوليس .

فقال كوستا وهو يضع الورقة في جيبه .

- سأبحث الأمر واتصل بك .

فنظر اليه روسيتي متوسلاً وقال :

- ارجوك ان تفعل ؟

- انني رجل شديد الحذر يا مستر روسيتي .. سأبحث الأمر من جميع وجوهه ثم اتصل بك .

ورأى على الموقد انموذجاً مصغراً لزورق لصيد السمك فقال :

- إنك متوتر الأعصاب .. لمــــاذا لا تذهب لقضاء بضعة أيام في صيد السمك ؟

فقلب روسيتي شفته واجاب :

- أنا ؟ لقد كنت أذهب مع زوجتي لصيد السمك في نهـاية الأسبوع طوال الصيف .. إننا نملك زورقاً صغيراً .. وكنـا نعيش في هدوء .. ندير المطعم .. ونذهب للصيد ، وفجأة جاءت المكالمة التليفونية من باكستر فأصبحت لا اصيد السمك ، ولا ادير المطعم ، ولا افعـل شيئاً سوى التفكير في همومي .

- سأفعل كل ما استطيع يا مستر روسيتي ، وارجو ان تعود قريباً إلى صيد السمك .

وغادر كوستا الغرفة .. ومر في طريقه بزوجة روسيتي وابتسم لها

محييا . وتبعته المرأة ببصرها ، ورأته يهم بالانصراف ، فسألته :

– هل تناولت عشاءك ؟

– ليس بعد ..

– دعنا نتناول العشاء في المطعم

ثم نادت على زوجها وسألته :

– ألا تأتي معنا ؟

– كلا .. سأنام فاذهبي انت !

– حسناً .. تدفأ جيداً وحذار من البرد .

وتناولت هيلين وكوستا العشاء في المطعم ، ولم تتكلم المرأة إلا قليلا ، إلى ان حمل اليهما الخادم القهوة ، وحينئذ نظرت المرأة إلى كوستا وقالت :

– انه لأمر محزن ، ان زوجي خائف جداً .

– وانت ؟

– أنا ؟ كلا .. انا لست خائفة ، لا بد مما ليس منه بد ، ان الانسان عليه ان يناضل طول حياته !

– لا تنزعجي ، سأكون حذراً جداً .

– نعم .. لا بد من الحذر الشديد !

ونهض فسألته :

– هل لديك معطف ؟

– نعم ، في غرفة الثياب .

– التف به جيداً .. وحذار من البرد !

وشيعته بعينيها السوداوين حتى غادر المطعم .

وبدأ كوستا عمله في صباح اليوم التالي :

وجد مكتب باكستر في مبنى بالشارع السادس والخمسين بالحي الغربي ، وعندما وصل إلى ذلك المبنى ، كانت الساعة لم تبلغ التاسعة بعد ، فاندس بين زحام الموظفين الذين يعملون في شتى المكاتب والشركات التي تشغل المبنى ، وصعد إلى الطابق الحادي عشر حيث يوجد مكتب باكستر فلم يعجبه موقعه ، فالمكان لا يصلح بتاتاً لارتكاب جريمة قتل ، مع وجود المصاعد الدائبة الحركة .. وازدحام طوابق المبنى بالموظفين والخدم وأصحاب الأعمال .

ولكنه استطاع أن يرى باكستر حينما دخل مكتبه في الساعة التاسعة والنصف ، فرآه رجلا قصير القامة نحيل الجسم يطبق بشفتيه على بقايا سيجار ..

وانتظر كوستا بضع دقائق ، ثم دخل وقدم لسكرتير باكستر بطاقة تدل على أنه مندوب شركة لبيع أثاثات المكاتب ، ثم انصرف في هدوء وأدب حين قال له السكرتير إن مستر باكستر راض عن اثاث مكتبه ولا يرغب في استبداله

وكانت النظرة التي ألقاها داخل المكتب كافية لاقناعه بأن المكان لا يصلح لتنفيذ مهمته .

* * *

وبعد ظهر ذلك اليوم ، استأجر كوستا سيارة انطلق بهـا إلى (كونيكتيكات) وقصد إلى مكتب سمسار بالقرب من العنوان الثاني لباكستر

وافهم السمسار انه يريد شراء منزل في المنطقة فرحب به ، وطاف معه ببعض البيوت ، وأبدى كوستا اهتماماً خاصاً بمنزل مجاور لمنزل باكستر .

ومن حسن الحظ أن هذا المنزل كان خالياً ، فتفقده كوستا بعناية ، واستطاع ان يلم ضمناً ببعض الحقائق عن منزل باكستر .

كان هذا المنزل .. هو الأخير بين ستة منازل متشابهة تطل على الخليج . وكان يحيط به من جميع الجوانب سور مرتفع ، وله باب حديدي ضخم ، تتدلى منه لوحة كتب عليها بحروف كبيرة « احذر الكلب » ..

وفي مقدمة الفناء الذي يقع وراء الباب ، كان يربض كلب ضخم يحدث بنباحه جلبة شديدة .

* * *

وقضى كوستا في مكتب السمسار نحو ساعة ، اكد له خلالها انه سيعود بزوجته في اليوم التالي لشراء المنزل الذي حاز اعجابه ، ثم سأله عن جيرانه ، فراح السمسار يحدثه عنهم باسهاب ، وكان مما قاله عن باكستر أنه أرمل هادىء الطباع ، يعيش وحده في المنزل ، ويقوم على خدمته رجل سويدي عجوز ومعه زوجته ، وان الزوجين يبيتان في المدينة .

* * *

وحول الساعة السادسة ، عاد كوستا إلى منزل روسيتي ، ووجد هذا الأخير جالساً أمام مكتبه في انتظاره ، بينما جلست زوجته في ركنها المألوف وانصرفت إلى التطريز كالعادة

قال روسيتي :

– ها هي زوجتي .. انك طلبت في مكالمتك التليفونية أن تشركها معنا في الحديث ، اليس كذلك ؟

فنظر كوستا إلى المرأة ، ثم ارتد بصره إلى الرجل وقال :

– الواقع اني اردت ان اتحدث اليكما معاً ، إن المهمة ممكنة التنفيذ ، ولكني احتاج إلى شيء واحد !

– ما هو ؟

– أحتاج إلى معونة .

فانحنى روسيتي إلى الأمام وقال :

– هل معنى ذلك انك لا تريد تنفيذها ؟

– بل أعني انني لن انفذها دون معونة .. منكما معاً .

قطوت المرأة قطعة القماش التي كانت تعمل بها ، ورفعت رأسها قائلة :

– أريد أن افهم !

فقال كوستا :

– ان المكتب لا يصلح لتنفيذ المهمة ، فالمبنى مليء بالحركة حافل بالناس ولذلك أفضل المنزل ، ولكني لا استطيع ان اذهب اليه بالسيارة .

– اذاً ؟

– سنذهب نحن الثلاثة بالزورق لصيد السمك في نهاية الأسبوع ، وسأخبرك أين ترسو ريثما أقوم بالتنفيذ وبذلك تصبحان شريكين في الجريمة ، وهكذا أضمن سكوتكما في المستقبل .

فتحول روستي إلى زوجته وسألها :

– ما رأيك ؟

فنظرت المرأة إلى كوستا طويلا ، ثم تنهدت واطرقت برأسهـــا ، وقالت لزوجها :

– لا بأس ، اظن اننا يجب أن نفعل ما يريد ، وانا لا ألومه على حذره .

فالتفت روسيتي إلى كوستا وقال :

– حسناً .. لك ما تريد ، فليس لنا خيار

– اتفقنا ..

– والآن ماذا يجب ان نفعل ؟

فأجاب كوستا .

– اذهب الى المرسى في صباح يوم السبت ، وامــــلأ خزان الزورق بالوقود ، وسأعرف كيف انضم اليكما في الزورق دون ان يراني احد .. وبعد ذلك سأخبرك الى أين تذهب .

قال ذلك ونهض لينصرف فقالت له المرأة :

– التف بمعطفك جيداً وحذار من البرد .

* * *

وفي صباح يوم السبت التالي ، كمن كوستا في المرفأ وسط حشد كبير من هواة الصيد ومحترفيه .. ورأى روسيتي وزوجته يجتازان الجسر الموصل الى زورقهما .. فانتظر حتى أيقن انهما تزودا بالوقود الكافي ، ثم تسلل الى الزورق دون ان يلحظه أحد !

وبعد لحظات ، تحرك القارب في الطريق الى شاطىء (كونتيكات)

وتولى روسيتي امر (الدفة) ، بينما انصرفت زوجته الى التطريز .

وحوالي الساعة الثالثة ، القى الزورق مرساه عند اللسان الممتد داخل الماء ، والذي شيد باكسار فوقه ، وقال روسيتي وهو متوتر الأعصاب :

ــ والآن . ماذا سنفعل ؟

فأجاب كوستا :

ــ سنأكل ونصيد السمك ، ونلهو .

فسألته المرأة :

ــ هل انت جائع ؟

ــ قليلا !

ــ حسناً ، سأعد الطعام ، وفي استطاعتكما ان تجربا حظكما في الصيد .

* * *

وحول الساعة السادسة ، دعتهما لتناول الطعام .

ولكن روسيتي كان متوتر الأعصاب ، فلم يتناول من الطعام إلا القليل ، وظل طول الوقت يختلس النظرات إلى كوستا .

أما الزوجة فإنها راحت تقدم لهما الصحاف في صمت .

وبعد الطعام ، انحنى كوستا فوق حاجز الزورق وراح ينظر إلى الماء ، ولا يحول رأسه يمنة أو يسرة .

وظل على هذه الحال قرابة نصف ساعة ، وحينما استدار ، وجد عيني روسيتي ترقبانه عن كثب ، قال :

ــ سأسبح في الماء قليلا !

فمدت المرأة أصابعها النحيلة ، وربتت بها على كتفه وقالت :

- كن على حذر !

فابتسم واجاب :

- إنني حذر دائماً ، انني رجل شديد الحذر ؟

* * *

كان الليل قد أرخى سدوله حين وقف كوستا على سطح الزورق مرتدياً ثوباً من المطاط مما يستخدم في السباحة تحت الماء .

وكان يمسك بيده حقيبة من البلاستيك ، فلم يلبث أن شدها إلى حزامه ثم انزلق إلى الماء في هدوء واختفى في الأعماق .

وبعد نحو عشرين دقيقة ، ظهر أمام منزل باكستر ، وخرج إلى الشاطىء في هدوء ، وسار متسللا حتى وصل إلى الباب .. وهناك أخرج من حقيبته البلاستيك قطعة من اللحم وقذف بها إلى فناء المنزل .

وما كاد يفعل ذلك حتى انطلق الكلب كالسهم ، وانقض على الباب وهو ينبح بشدة . فتراجع كوستا وتسلل إلى الماء ، وسبح بسرعة حتى ابتعد عن المنزل وحجبه الظلام ، وهناك أطل برأسه من فوق الماء ليرقب ما يحدث .

واستمر الكلب ينبح ويهز الباب الحديدي بقوة ، إلى أن فتح باب داخلي في آخر الفناء وخرج منه باكستر في ثياب النوم وبيده مصباح كهربي .. فطاف بجدران السور ، وبحث في الفنـــاء .. ثم أمر الكلب بالسكوت وعاد من حيث أتى ..

وظل كوستا في مكانه لا يتحرك إلى ان رأى الكلب يتراجع ويبحث في الأرض عن شيء ..

وبعد قليل سمع أنيناً خافتاً ، ثم انقطع الأنين وساد الصمت .

ومرت بضع دقائق أخرى ، ثم خرج كوستا من الماء في هدوء واقترب من الباب ، ورأى الكلب ممدداً على الأرض لا يبدي حراكاً ، ويبدو أنه لفظ أنفاسه حين استقرت قطعة اللحم في جوفه .

وفي بطء وهدوء ، تسلق كوستا السور وهبط في فناء المنزل .. ووجد نافذة مفتوحة ، فتسلل منها إلى الداخل ..

وبعد دقيقتين كان يتسلل إلى مخدع باكستر ، وكان هذا الأخير يغط في نومه .. فاقترب منه كوستا وأطبق بيديه القويتين على عنقه .

ولما سكنت حركة باكستر تماماً ، خلع كوستا قفازه وجس نبضه .. وتحقق من موته .

* * *

عاد كوستا أدراجه إلى القارب ورأى روسيتي وزوجته يطلان من فوق الحاجز ويترقبان عودته .

وأبصر به روسيتي وهتف بصوت خافت :

– أهذا أنت يا كوستا ؟

– نعم ..

ووقف كوستا على سطح الزورق والماء يتساقط حوله ..

فسألته المرأة :

– هل صادفتك عقبات ؟

– كلا .

– إذاً أسرع واخلع هذه الملابس قبل أن يقتلك البرد .

فهبط كوستا إلى قاع الزورق ، واستبدل ثيـــابه وصعد إلى سطح الزورق مرة أخرى ، وهناك وجد المرأة في مقعدهـــا تطرز ، بينما راح زوجها يعالج فتح زجاجة من النبيذ المعتق .

قال روسيتي وهو يبتسم :

– تعال يا كوستا ، يجب أن نشرب نخب نجاحنا .

وملأ ثلاثة أقداح ، وشرب الثلاثـــة ولم تكف المرأة طول الوقت عن التفرس في وجه كوستا ، واخيراً سألته :

– هل أنت واثق من ان كل شيء على ما يرام ؟

– كل شيء على ما يرام .. لا أحد رآني .. ولا أحد يعلم انني هنا .. ولا احد سوانا يعلم بما حدث .

– هل أطلقت عليه الرصاص ؟

– كلا .. أنا لا استخدم الأسلحة ، يكفيني هذه ..

ومد اصابعه القوية إلى الأمام .

ونهض روسيتي وهو يقول :

– أنا متعب .. أريد أن أنام .

فقالت المرأة :

– أتمنى لك نوماً هنيئاً ..

ثم التفتت إلى كوستا وقالت :

ـ وأنت ايضاً يا كوستا ، إنك بحاجة الى الراحة .

فنهض كوستا وتمطى وقال لها وهو يبتسم :

ـ انها ليلة جميلة . أليس كذلك ؟

فقالت المرأة وهي تخرج من تحت الثوب الذي تطرزه مسدساً صغيرا :

ـ نعم ، إنها ليلة جميلة !

وأطلقت عليه الرصاص مرتين .. في موضع القلب ، فترنح الشاب وانقلب من فوق الحاجز وسقط في الماء .

وأطلت المرأة من فوق الحاجز والمسدس لا يزال في يدها ، وراقبت الجثة حتى غاصت في الماء .

وحينئذ أطل روسيني برأسه من غرفته وسأل :

ـ ماذا صنعت يا هيلين ؟

فأجابت وهي تلقي المسدس في الماء :

ـ لا شيء .. انتهى الأمر .. اذهب إلى فراشك ، وتدفأ جيداً .. وحذار من البرد ؟

هدية خاصة

احس القس كنيث كالنج بالحرج والارتباك وهو يتناول قدح الشاي من يد كلارا ديفوريست ..

لقد وجد من واجبه أن يواسي هذه السيدة التي تعد من أخلص رعايا كنيسته ، ولكن ماذا يقول لها ؟ لم تكن هناك تقاليد معينة يستطيع اتباعها للتعبير عن عطفه على هذه السيدة في نكبتها .

لقد رحل زوجها ، ولكنه رحل برضائه على متن احدى الطائرات إلى المكسيك ، وليس على اكف الملائكة إلى السماء .. أو أن ذلك على الأقل ما تناقلته الشائعات .

قالت الشائعات إنه سحب من البنك كل حسابه المشترك مع زوجته ، كما استولى على أثمن مجوهرات زوجته ، ثم فر مع إحدى الشقراوات ، ولكن كلارا لم تقصده لهذه الشائعات بالنفي او التأييد ، وقالت في تواضع وإيمان ، إنها تفضل الرضى بما قسم لها والصفح عن غدر زوجها ..

كان زواجها من جيسون ديفوريست ، وهو اصغر منها بعشرين عاماً ،

مقضياً عليه بالفشل منذ البداية .. وها هو قد فشل وانتهى الأمر .

* * *

وقد شعر القس بارتياح شديد حين لاحظ ان الصدمة لم تفقدها هدوءها ومرحها وسرعة بديهتها .

– يسرني أن أراك في خير حال .

– أنا فعلاً في أحسن حال .. شكراً لك !

– ألست بحاجة إلى شيء ؟ هل من خدمة أؤديها لك ؟

– إنني أقدر كرمك وأؤكد لك اني لا احتاج إلى شيء .

– ان شجاعتك وقوة إرادتك في مواجهة النكبة تثيران الاعجـــاب حقاً .. أية امرأة اخرى في مثل مركزك كان يمكن أن تنهار وتستسلم للحزن والبكاء .

– ولمـــاذا أبكي ؟ الواقع انني لست آسفة على شيء .. لقد هجرني جيسون ، وأنا سعيدة بالتخلص منه .

– ألا تشعرين بالغضب أو السخط ؟ إن لهما في الواقع ما يبررهما !

ونظر اليها بجدة .

كان يهمه أن يراها حزينة باكية ، او ساخطة غضبى لكي يواسيهـا ويرفه عنها ، ويحاول بصلواته ونصائحه أن يطهر قلبها من ادران الحقد والضغينة .. ولكن يبدو ان قلب كلارا لم يكن بحاجة إلى التطهير .

أجابت :

– كلا .. انني لا اشعر بشيء مما ذكرت . صحيح أن جيسون كان وغداً . ولكنه كان وغداً ظريفاً ، وأنا لا أتمـالك من الشعور نحوه بالامتنان والشكر ، فلقد منحني ثلاث سنوات رائعة من حق امرأة في مثل سني أن تتوقعها .

فألهبت كلماتها خيال القس على نحو لا يليق به كرجل دين ، ولا بها كامرأة في الخمسين ..

ولم يسعه وهو يسبح في عالم الخيال إلا أن يعترف بأن لمضيفته ساقين جميلتين حقاً ..

قالت :

– على العكس .. انني كنت اتوقع السعادة وقد ظفرت بها ، والحقيقة انني ما كنت لأتزوج جيسون لأي سبب آخر ، فقد كان فقيراً معدماً ، ووغداً ميت الضمير .. وغبياً الى أبعد الحدود .. وساذجاً الى حد يدعو الى الرثاء حتى في محاولاته لقتلي .

فارتسم الهلع في وجه القس وتمتم :

– تقولين انه حاول قتلك ؟

– حاول قتلي مرتين .. الأولى حين وضع مادة سامة في قدح لبن قدمه لي في الفراش ، والثانية حين دس السم في دواء أتعاطاه . لقد استعمل نفس الطريقة كما ترى . وهذا يدلك على انه – مثل غيره من الشبان الأغبياء يفتقر الى الخيال .

– ولكن . لا شك انك أبلغت البوليس عن هاتين المحاولتين ..

- كلا .. ما الفائدة ؟ لو انني فعلت ذلك لدمرت الصلة بيننا تدميراً تاماً .. وهي صلة كنت لا أزال اجد فيها كثيراً من المتعة !

سأل القس :

- هل تعنين انك لم تفعلي شيئاً على الاطلاق ؟

فردت وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة :

- بل فعلت .. افهمته انني تصرفت في ثروتي بطريقة تمنعه من قتلي للاستيلاء عليها .. ولما وجد انه لن يفيد من موتي .. لم يحاول ان يتعجل امراً لا بد ان يحدث يوماً ما .. المهم انه اضطرب وارتبك كالأطفال حين ادرك انني اكتشفت محاولاته ؟

- يا له من وحش !

- وحين وجد انني حرمته من الدافع الذي يغريه بقتلي ، شعر بأنه لم يعد هناك كذلك ما يحمله على البقاء معي .. فذهب !

وصمتت لحظة ، ثم استطردت قائلة :

- الواقع انني لست آسفة على شيء ، ولكنني سأفتقده ، ولا بد أن احتفظ بشيء يحيي ذكراه .. إن ذاكرة الانسان تضعف ويدركها الوهن كلما تقدم في السن ، لذلك لا بد من الذكريات لاحياء الماضي .

فقال القس :

- إنه ذهب منذ أسبوع واحد ، ومن يدري فلعله يعود .

فهزت كلارا رأسها ببطء وقالت :

- كلا .. لا أظنه سيعود .. لقد ترك رسالة قال فيها إنه ذهب إلى غير رجعة . ثم ان الظروف التي اقترنت بفراره ، لا تجعله يتوقع أن

تقابل عودته بالترحيب .

من سوء الحظ انني أحرقت الرسالة في لحظة غضب .. وكم يؤسفني الآن انني فعلت ذلك .. كان يجب ان احتفظ بها لأعيد قراءتها بين وقت وآخر ، واشعر انه موجود بروحه ، وإن لم يكن موجوداً بلحمه ودمه .

فقال القس :

ـ الواقع انك سيدة مدهشة يا مسز ديفوربست .

وفي هذه اللحظة دق جرس الباب الخارجي ..

فنهضت كلارا وهي تقول :

ـ معذرة يا سيدي القس !

وبعد قليل ، سمعها تتحدث إلى شخص بالباب ..

فنظر حوله وهو لا يزال مفتوناً بشخصية هذه المرأة الرائعة .. ووقع بصره فوق المدفأة .. على آنية خيل اليه أنه لم ير في حياته أجمل منها .

وعادت كلارا بعد لحظات وبيدها لفافة صغيرة محزومة بخيط .

وضعت اللفافة على المائدة وقالت وهي تجلس :

ـ انه ساعي البريد ، هل تريد مزيداً من الشاي ؟

ـ كلا .. شكراً لك .. لقد شربت كفايتي .. كنت من لحظة أنظر باعجاب إلى هذه الآنية التي فوق المدفأة ، إنها آية في الجمال .

فنظرت كلارا إلى الآنية طويلاً وقالت :

ـ أحقاً ؟ لقد أحضرها لي أخي كاسبار حينما اقبل لزيارتي في

الأسبوع الماضي !

– سمعت ان اخاك جاء لزيارتك .. إنه لعزاء جميل للانسان أن يجد أحباءه حوله في ساعة الشدة .

ردت كلارا :

– نعم .. لقد جاء كاسبار على عجل حينما أنبأته تليفونياً بأن جيسون هجرني ، ولكن لم يكن ثمة ما يدعو إلى قدومه ، لأنني لم اكن في مأزق او شدة ، بل كنت في الواقع في خير حال .

ومهما يكن من أمر ، فإنه لم يمكث هنا سوى ليلة واحدة ، ورحل في صباح اليوم التالي .

– لم يكن لي قط شرف التعرف إلى اخيك .. هل يقيم بعيداً من هنا ؟

– على مسافة مائتي ميل من هنا ، وصناعته خزاف ، وهو الذي صنع هذه الآنية التي أثارت اعجابك .

– أحقاً ؟ انها تحفة رائعة ..

– الواقع ان الخزافة فن أكثر منها صناعة ، وقد طورهـا كاسبار حتى جعلها تجارة .

انه بدأ منذ بضع سنوات بحانوت صغير يبيع فيه منتجاته ، ولكن الاقبال كان عظيماً إلى حد ارغمته على التوسع ، وهو الآن يورد منتجاته إلى جميع المتاجر الكبرى في جميع المدن .

– لا بد انه مشغول جداً .

– هذا صحيح ، ولذلك عجل بالعودة في الأسبوع الماضي لاتمام كمية

من الأواني طلبت على وجه السرعة .. إنه دقيق جداً في عمله ، ويصنع أوانيه بنفسه ، ولذلك فإن انتاجه محدود !

– انني لا أعرف الكثير عن صناعـة الخزف ، وأظن انني يجب أن أقرأ المزيد عنها .

– إنها صناعة مثيرة ومسلية .. هل تعلم أن الآنية تخبز قبل تلوينها في افران تربو درجة حرارتها على ١٢٠٠ درجة مئوية ؟

– يا إلهي !

– ولكن النتيجة تدعو إلى الاعجاب كما ترى .. ان هذه الآنية اصغر من ان تصلح للزهور ، ولكني سأحتفظ بها لشيء خاص جداً .

وكان الحديث عن ارتفاع درجة حرارة أفران الخزف قد ذكر القس بنار جهنم .. وهو امر لا يطيب له التفكير فيه ، لذلك نهض واقفاً واستأذن في الانصراف ..

وشكرته كلارا على الزيارة ورافقته إلى الباب ، وشيعته ببصرها حتى توارى ، ثم اغلقت الباب وعادت إلى الغرفة وتناولت اللفافة التي كانت قد وضعتها على المائدة .. وتأملتها وارتسمت على وجهها دلائل الضيق .

حقاً ان كاسبار لا يطاق ..

جميل ان يكون الانسان مقتصداً .. اما ان يكون شحيحاً إلى ان يبعث بشيء خطير وثمين ، كذلك الذي في اللفافة بالبريد العادي اقتصاداً لبضعة بنسات ، فأمر يثير الهلع والاشمئزاز في وقت معاً !

ان موظفي البريد قلما يفتحون هذه اللفائف المرسلة بالبريد العادي .. ولكن هب ان احدهم فتح هذه اللفائف !

ان فتحها لا يحرجها ويحرج اخاها فحسب .. ولكنه قد يؤدي إلى كارثة تؤدي بهما معا ..

وتناولت آنية الخزف من فوق المدفأة ، ووضعتها على المائدة .

ثم فضت اللفافة وافرغت الرماد الذي بها في داخل الآنية !

— تمت —

فهرس

الصوت القاتل	٥
المليونير المفقود	٣٠
الخير والشر	٥٥
سر الاناء الأزرق	٨٧
رجل شديد الحذر	١٢٥
هدية خاصة	١٤٢